أعلام المسلمين

٨

سعيد بن المسيب

سيد التابعين

الدكتور وهبة الزحيلي

دار القلم
دمشق - بيروت

أعلام المسلمين
٨

سعيد بن المسيّب

سيّد التابعين

(١٥ - ٩٤ هـ)

الدكتور وهبة الزحيلي

دار القلم
دمشق

الطبعة الخامسة
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

هـذا الرّجـل

« لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لسّره »

عبد الله بـن عمر

الصحابي الجليل

« طفت الارض كلها في طلب العلم ، فما لقيت احدا أعلـم من سعيد بن المسيّب »

مكحول فقيه الشام

« سعيد بن المسيّب أفضل التابعين »

الامام احمد بن حنبل

« كان من سادات التابعين : فقها ، ودينا ، وورعا ، وعبادة ، وفضلا ، وكان أفقه أهل الحجاز ، وأعبر الناس لرؤيا ، ما نودي بالصلاة من أربعين سنة الا وسعيد في المجلس »

الامام ابن حبان في الثقات

« هو الامام شيخ الإسلام ، فقيه المدينة ، أجل التابعين ، كان واسـع العلم ، وافر الحرمة ، متين الدين ، قوالا بالحـق ، فقيه النفس »

الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ

المقدّمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه •

وبعد : ففي غمرة الاحداث الجسام التي نمر بها ، وعبر التاريخ الحديث الذي تسطره البشرية ، وفي اجواء النهضة الجديدة الجبارة التيقفز اليها الانسان ، نلقى في حنايا وضلوع كل مسلم حنينا قويا يستبد به ، ويدفعه الى مقارنة حال المسلمين اليوم بسلفهم في الماضي ، وتثور عنده الرغبة الى ارواء ظمأه في التعرف على سيرة رجالات الاسلام العظام ، الذين سجلوا أروع صفحات المجد والخلود ، وبخاصة سيرة أولئك الافذاذ من المفكرين والعلماء ورواد البحث والثقافة والمعرفةالمستفيضة ، الذين لا تشوب حياتهم أية شائبة من تقصير في البحث ، او عزوف عن المعرفة ، أو كلل في التفكير ، أو عدم الاستقصاء والتتبع لآفاق العلوم ، وجزئيات المسائل والقضايا ، مهما دقت واستعصى

حلها ، وانما كانوا بحق جبابرة في الهمة ، أعلاما في الرأي والفكر ، عباقرة في كل فن من فنون العلم ، يسوقهم الى السباق رغبة ذاتية ، وحب أصيل للمعرفة ، لا يعكره نزعة مادية ، او شره دنيء ، ويتوجه اخلاص وتفان منقطع النظير للوصول الى الحق الأبلج ، والرأي الأصلح .

ولا أعدو الحقيقة أو أتهم بالتعصب ان قلت : ان هدي الاسلام ورسالته السامقة في مجالات الفكر والعقل والبحث ، هي التي غذت نفوس أولئك الخلص من علمائنا الأبرار بالزاد الدائم الذي لا ينفد ، فأكسبهم اخلاصهم العلمي رفعة ومجدا واكبارا في نفوس المعاصرين لهم ، ومن تلاهم في مختلف الاعصر والازمان .

واذا كان تاريخ الامم يقاس بتاريخ رجالاتها وما أنجبته وتمخضت عنه من أعلام ، فتاريخنا ـ ولله الحمد ـ حافل بآثار شخصيات كبرى ، رباها الاسلام في مدرسته ، وحباها بعطفه ، وغذاها بلبانه ، فكانوا المثل الرفيع للاجيال ، يهتدون بنبراسهم ، ويستضيئون بنورهم ، ويتحفزون للاقتداء بهم .

وهذه هي غايتنا من التعريف بعلم من اعلام الدنيا الذي أجمع من قبله ومن عاصره ومن بعده على تقدير علمه ، وسعة معرفته ، والهرع الى استفتائه ، والتماس الصواب لديه ، ذلكم هو سعيد بن المسيِّب الذي كان يلقب بالجريء لسعة علمه

وحفظه وعدم خشيته الفتوى مثل غيره من معاصريه • فهو الامام شيخ الاسلام ، فقيه الفقهاء ، وسيد التابعين وأجلهم ، ملك زمام ناصية تفسير القرآن ، ورواية الحديث النبوي وآثار الصحابة ، وفقه الشريعة ، على أرضية صلبة من قوة التدين ، ومتانة الطاعة ، وملازمة العبادة الجماعية والخاصة ، وصلابة الخلق ، والعفة والقناعة ، وقول الحق ، ومجابهة الحاكم الظالم •

فأصبح من الضروريات معرفة سيرة هذا الرجل ، اذ أن التأريخ لرجال الفكر وقادة الرأي وكبار الفقهاء والعلماء أهم من التأريخ لرجال السياسة والحكم • ثم اننا اذا عرفنا أن مكان ابن المسيِّب الذي عاش فيه هو مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن زمانه تلا عصر صحب الرسول الامثل ، اشتد بنا الشوق للتعرف عليه ، فمما لا شك فيه أن للمكان والزمان تأثيرا في تكوين شخصية الانسان وتتاجها وعطائها • واذا انضم لذلك استعداد شخصي وهمة عالية وعزيمة قعساء ماضية ، انجبت تلك الشخصية الاعاجيب ، وأصبحت فلتة من فلتات الزمان ، وآية من آي الله العظمى في الكون •

ولقد أدى ابن المسيِّب رسالته وقام بدوره وواجبه الارفع خير قيام ، فاستحق رضا الله تعالى بما أعده له ولامثاله من جنات النعيم المقيم ، قال عز وجل : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، ذلك

الفوز العظيم »[1] وآيات أخرى تؤيد مضمونها مثل : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم » [2] « والذين جاءوا من بعدهم » [3] « والذين آمنوا من بعد ، وهاجروا ، وجاهدوا معكم ، فأولئك منكم »[4] أي أن ابن المسيِّب من رجالات القرن الثاني الهجري الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية بقوله :« خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق أيمانهم شهادتهم ، ويشهدون قبل ان يستشهدوا »[5] .

ويمكن ان يكتب عن اخباره ومناقبه ومآثره وفقهه مجلد ضخم مستقل ، وقد فعل ذلك ابن الجوزي[6] اذ كتب عنه كتابا مبسوطا ، ولكنا لم نعثر عليه ، وأشار لذلك بعض المؤلفين[7] . وقد كتب بعض دارسي الدراسات العليا في العراق مؤلفا جمع فيه فقهه وسيرته في مجلدين ، غير أني لم أطلع عليه .

ومنهجي في البحث هو منهج مقارنة وتحليل وتقييم مع مبادىء الاسلام ، وليس مجرد تأريخ ، اذ ان التأريخ سيكون مجرد نقل وتكرار لما في كتب علمائنا ، بالرغم من صعوبته أحيانا

---

(١) ـ الآية ١٠٠ من سورة التوبة (٢) ـ الآية ٣ من سورة الجمعة (٣) ـ الآية ١٠ من سورة الحشر (٤) ـ الآية ٧٥ من سورة الانفال (٥) ـ رواه احمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي عن ابن مسعود ، ورواه الترمذي وغيره أيضا عن ابي هريرة وعمران بن حصين رضي الله عنهم (٦) ـ صفة الصفوة (٤٥/٢) (٧) ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٠٣/١) ومرآة الجنان لعبد الله اليمني (١٨٦/١) .

لما يتطلب من دقة النقل ، والتوفيق بين الروايات المتعارضة ، بل قد يكون مدعاة للسأم والملل ، خصوصا في مثل ترجمة ابـن المسيِّب الذي توّجه الكتاب بإكليل من الغار ثناء واعجابا ومفخرة، فاعتبروه من أعلام الدنيا ، وابن الاسلام الذي أوجد آلاف الرجال أمثاله • وسيظل الاسلام ــ لمن اهتدى به ــ ذلك الجبل الأشم الذي ترتسم على صفحاته صور العديد من العبقريـات الفذة ، والمثل الرائع لكل علو ومجد وتقدم علمي •

وكيفية مقارنة سيرة ابن المسيِّب مع هدي الاسلام : هـو عرض المبدأ أو الحكم الاسلامي المقرر في كل جزئية مدعما بسنده القرآني وبالهدى النبوي ، ثم التنويه بجلائل أعمـال هـذا الرجل العظيم كمثل صالح للقدوة الحسنة به ، وواقع حـي مطبق لقيم الإسلام ، وترجمان أمين صادق لتعاليم النبي عليـه السلام ، مما يعتبر حجة على الاجيال والناشئة في كل زمان يظل فيه الإسلام هو الأصل والمنبع ، وأما الرجال فهم عنوانه ، بـه نعرفهم ، لا بهم يعرف ، لأن الرجال يعرفون بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال ، كما قال أرسطو ، ولان الاسـلام لايقر أبـدا ما يعرف بعبادة الاشخاص وتمجيد ذات أحد من البشر ، مهمـا كان ، حاكما أو عالما أو مخترعا ، أو قائدا بارزا في الفتوحـات الشهـيرة •

وبعد هذه المقارنة ، والاشارة الى ما تفرد به من غرائب الرأي ، أخلص الى المغزى الذي هو رائد البحث ، ومفتـاح

النور الاخضر ، ومشعل الهداية الانضر ، وعين الهدف الذي نبغيه في مسيرة هذه الحياة الصاخبة بالمادية الجارفة ، وهجر القيم والأخلاق والاديان .

وكما أنه لم ينشر للآن سفر عن هذا العالم الكبير والمصلح الاجتماعي ، كذلك لم نعثر له على مؤلفات علمية ، بعد البحث في مثل الفهرست لابن النديم وكشف الظنون وسائر تراجمه ، اذ أنه كان ينهى عن كتابة آرائه الفقهية لاحتمال تغيير اجتهاده في المستقبل[1] . ولكن آراءه مع ذلك دونت ونقلت بالتلقي والحفظ والمشافهة ، وهي منشورة في كتب الحديث والتفسير والفقه مثل كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي ، حتى انه ملأ الدنيا علما وأثرى من حوله ثراء عظيما ، هذا مع العلم بأن تدوين الحديث والفقه عموما بالمعنى الشامل قد تأخر عن عصر سعيد بن المسيِّب .

والتعرف على ابن المسيِّب من خلال آرائه له أهميته وخطورته ، لأنه مع غيره من فقهاء التابعين يمثل الحلقة المفقودة التي تربط بين عصرين متمايزين : عصر النبي وأصحابه ، وعصر المذاهب الفقهية ، وتوضيح ذلك مهم لتعرف بدء الفقه الإسلامي والتفكير الفقهي عموما ، وبداية نشوء المذاهب الفقهية[2] ، وقيام

(١) ـ راجع جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج ٢ ص ٣١ ، ١٤٤)

(٢) ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي للدكتور علي حسن عبد القادر : ص ١٤٣ .

مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي أو مدرسة المدينة ومدرسة الكوفة .

وتتضمن خطة البحث والعرض فصولا خمسة وخاتمة :

الفصل الاول :

في سيرته وحياته الخاصة : يذكر فيه اسمه ونسبه وكنيته ، ومولده ونشأته وبيئته وعصره ، وزواجه وأولاده وطبع جده وتاريخ استشهاده ـ أي الجد ـ ، هيئته وحليته ولباسه ، وعام وفاته ومكان دفنه .

والفصل الثاني :

خصائص شخصيته وشمائله : وقاره ونوره ، تدينه وعبادته ، زهده وورعه ، تخوفه من النساء ، دعاؤه ، كيفية اختياره الزوج الصالح لابنته ، عزة نفسه وإباؤه وتعففه ، مورد معيشته الحر ، رأيه في الغنى والفقر .

والفصل الثالث :

نشاطه وحركته العلمية ومنزلته الاجتماعية : طلبه العلم ، حافظته القوية ، مجالسه العلمية ومواعظه ، صلابته في الحق ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، تزكيته وشهادات أهل العلم فيه ، شيوخه وتلامذته ، منزلته عند المفسرين ، والمحدثين ، والفقهاء ، آراؤه الخاصة في الفقه وجرأته في الفتيا ، ومنهجه الاجتهادي .

الفصل الرابع :

موقفه من السياسة والحكام، وخصومته لبني مروان، ومحنته في أيامهم .

الفصل الخامس :

إمامته في تعبير الرؤيا ، ونماذج من أقواله المحفوظة ومواعظه .

خاتمة

أرجو الله أن يسدد الخطى ، ويحقق المسعى، ويوفر النفع بسيرة ابن المسيِّب ، الذي كما قال عنه الأصبهاني في حلية الأولياء[1] : وكان كاسمه بالطاعات سعيدا ، ومن المعاصي والجهالات بعيدا .

وهبة مصطفى الزحيلي

أستاذ كرسي الفقه الإسلامي

ومذاهبه بجامعة دمشق

دمشق { **٧ من ذي القعدة عام ١٣٩٤ هـ**
١٩٧٤/١١/٢١ م }

---

(١) – (ج ٢ ص ١٦١) .

الفصل الأول

سيرة سعيد وحياته الخاصة

١ ـ اسمه ونسبه الكامل وكنيته :

هو أبو محمد سعيد بن المسيِّب[١] من قريش ، ومن بني عمران بن مخزوم .

ونسبه : هو ابن المسيِّب ، بن حَزْن ، بن أبي وهب ، بن عمرو ، بن عائذ ، بن عمران ، بن مخزوم ، بن يقظة ، القرشي المدني .

وأمه : أم سعيد بنت حكيم ، بن أمية ، بن حارثة ، بن الاوقص السلمي[٢] .

---

(١) ـ المسيَّب : بفتح الياء المشددة وهو المشهور عند أهل العراق . وروي عنه أنه كان يقول : بكسر الياء ، ويقول : سيَّب الله من يسيّب ابي . واهل المدينة يكسرونها عملا بذاك . انظر وفيات الاعيان (٣٧٨/٢) ومرآةالجنان(١٨٦/١) وضبط الاعلام (ص ١٤٩) وشذرات الذهب (١٠٣/١) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ص ١٢٨٧ .

(٢) ـ وفيات الاعيان : (٢٦٢/٢) ، وصفة الصفوة(٤٤/٢)وكتاب حذف من نسب قريش : (ص ٧٦) والطبقات الكبرى لابن سعد (١١٩/٥ ـ ١٢٣) وخلاصة تذهيب الكمال : (ص ١٢١) وتهذيب التهذيب (٨٤/٤) وتقريب التهذيب (٣٠٥/١) وتاريخ الذهبي (٤/٤) والبداية والنهاية ٩٩/٩ .

فأبوه وجده صحابيان[1] . وهو من سادات العرب ، ومن أصل عريق ، ومن قوم هم بنو مخزوم ، يعرفون بالشدة والصلابة والعنف والسيادة في مكة . ويظهر ذلك في طبع جده الذي استشهد يوم اليمامة سنة ١٢ هـ اثناء محاربة المرتدين من بني حنيفة برئاسة مسيلمة الكذاب ، وبتحريض عدو الله الرّجّال بن عنفوة بن نهشل الحنفي ، وكانت قيادة المسلمين لسيف الله خالد ابن الوليد المخزومي[2] .

ويعرف طبع جده من قصته مع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه علي بن زيد قال : حدثني سعيد بن المسيِّب بن حزن، أن جده حزنا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا حزن ، قال : بل أنت سهل . قال : يارسول الله ، اسم سماني به أبواي ، فعرفت به في الناس . قال : فسكت عنه النبي عليه السلام ، قال : فقال سعيد بن المسيِّب : مازلنا نعرف الحزونة[3] فينا أهل البيت[4] .

(١) ـ الصحابي في اصطلاح المحدثين : من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلما ، ثم مات على الاسلام . وفي اصطلاح الاصوليين : من لقي النبي صلى الله عليه وسلم وطالت صحبته . وقد فسر ابن المسيب الصحبة بالمعنى الثاني : وهي طول المصاحبة (سير اعلام النبلاء : ٢٨٣/٣ ، الاصابة لابن حجر : ٤/١ ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٦٣ ، نشر المدينة المنورة) .

(٢) ـ البداية والنهاية (٣٢٥/٦ ، ٣٤١) وما بعدها ، العواصم من القواصم لابن العربي (ص ٦٧) .

(٣) ـ الحزونة : غلاظة الارض .

(٤) ـ الطبقات الكبرى لابن سعد (١١٩/٥) .

وعروبة سعيد الأصيلة اكسبته شهرة واحتراما وتقديرا في أوساط العرب ، في وقت برزت فيه النزعة العربية التي قامت عليها الدولة الاموية في الشام • قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما ماتت العبادلة : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، صار الفقه في جميع البلاد الى الموالي : فقيه مكة : عطاء ، وفقيه اليمن : طاووس ، وفقيه اليمامة : يحيى بن أبي كثير ، وفقيه البصرة : الحسن ، وفقيه الكوفة : ابراهيم النخعي، وفقيه الشام : مكحول • وفقيه خراسان : عطاء الخراساني ، الا المدينة فإن الله عز وجل منّ عليها بقرشي فقيه غير مدافع : سعيد بن المسيب رضي الله عنه [1] •

وقد علق على هذا الكلام استاذنا الشيخ فرج السنهوري بقوله[2] : من غير المفهوم ان يعطي بعض الناس قيمة لحال الفقهاء من التابعين • أيقصدون أن العرب قد انصرفوا عن أحكام دينهم، وأهملوا الفقه لاشتغالهم بالولايات على اختلاف أنواعها ، أم ماذا يريدون ؟ ! وهذه الدعوى لم يستند مدعيها الا الى ذكر واحد من كل مصر • ولو صحت هذه الدعوى فانها لا تنقص قدر الفقه والفقهاء ، والدين الاسلامي جاء بالمساواة، وقال الكتاب الكريم : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم »[3] وقال عليه الصلاة

(١) طبقات الفقهاء لابي اسحاق الشيرازي (ص ٢٥) اعلام الموقعين (١/ ٢٢)

(٢) ــ محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي (ص ٢٩) .

(٣) ــ الآيــة ١٣ من سورة الحجرات .

والسلام : « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى »[1] .

والحقيقة أن الاسلام في الدنيا والآخرة لا يعول على النسب في شيء ، قال تعالى : « فاذا نفخ في الصور ، فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتساءلون »[2] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من قتل تحت راية عمِّية ، يدعو لعصبية أو ينصر عصبية ، فقتلته جاهلية »[3] « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[4] .

٢ ـ مولده :

ولد سعيد في المدينة المنورة بعد استخلاف عمر سنة ١٣ هـ بسنتين ، اي في سنة ١٥ هـ . وهذا هو أرجح الروايات في نظري بدليل قول محمد بن عمر : والذي رأيت عليه الناس في مولد سعيد بن المسيِّب انه ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر . وقال سعيد نفسه : ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وكانت خلافته عشر سنين واربعة اشهر اي بدءا من منتصف سنة ١٣ هـ ، لان أبا بكر توفي لثمان بقين من جمادى

---

(١) ـ رواه البيهقي عن جابر بن عبد الله ، وفي اسناده مجهول ، واحمد عن ابي نضرة ورجاله رجال الصحيح (الترغيب والترهيب : ٦١٢/٣ ، مجمع الزوائد : ٢٦٦/٣ ـ ٢٧٣) .

(٢) ـ الآية ١٠١ من سورة المؤمنون .

(٣) ـ رواه مسلم والنسائي ، وهو حديث صحيح . والعمية : الكبر ، والضلال والغواية .

(٤) ـ رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه .

الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوما ، وتولى عمر الخلافة بعده فوراً بعهد منه •

وهناك روايات اخرى منها : أنه ولد بعد استخلاف عمر بأربع سنين ، ومات بالمدينة ، وهو ابن اربع وثمانين سنة •

ومنها : أنه ولد قبل موت عمر بسنتين ، ومات وهو ابن اثنتين وتسعين سنة[1] •

٣ ـ نشأته :

نشأ سعيد وتربى في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مهبط الوحي ، وموئل الهداية ، ومركز اشعاع الصلاح والتقى ، ومنار النور الالهي ودار الهجرة ، وتنزل التشريع ، وتكون سنة النبي ، ثم صارت عاصمة الخلفاء الراشدين السياسية ، ومقر الصحب البررة الكرام ، فأصبحت مأوى الفقهاء ومجمع العلماء ومهد السنة ، ودار الفقه ، ومنبع الحديث • وقد قال عنها الرسول عليه السلام : « ان الايمان ليأرز الى المدينة ، كما تأرز الحية الى جحرها[2] » « انها طيبة ــ يعني المدينة ــ وانها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة[3] » • وهدد النبي من يريدها

---

(١) ـ راجع طبقات ابن سعد ١١٩/٥ وما بعدها ، البداية والنهاية ٩٩/٩ تذكرة الحفاظ ٥١/١ ويلاحظ ان تحديد ولادته بسنة ١٣ هـ كما جاء في الاعلام للزركلي ١٥٥/٣ غير سديد ، اذ لم يقل احد بأنه ولد في سنة بداية خلافة عمر .

(٢) ـ اخرجه البخاري ومسلم واحمد وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه. وأرزت الحية الى ثقبها : اذا انضمت اليه والتجأت .

(٣) ـ اخرجه مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

بسوء ، فهي حرم آمن كمكة : « لا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا يلتقط لقطتها ، الا من أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ، ولا أن يقلع منها شجرة الا ان يعلف رجل بعيره[1] » ، وقال عليه السلام : « لا يكيد لأهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح في الماء[2] » . فهنيئا لمن مات فيها وعاش فيها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فاني أشفع لمن يموت بها[3] » .

وكان لهذه النشأة أثرها الكبير في تكوين شخصية ابن المسيّب ، قوة وعزة وصلابة في الحق ، واستقامة في السلوك ، وزهدا وورعا وتدينا حتى لقب براهب قريش ، وسدادا في القول والعمل ، وخصوبة في العلم والثقافة ، وجرأة في الفتيا ، بسبب مخالطته الصحابة وتلقيه عنهم الآثار والاحاديث النبوية ، فكان خير خلف لخير سلف ، وأصبح تاجا في رأس القرن الثاني الذي شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية ، وقال عنه : « ان خيركم قرني [4] ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يكون قوم

---

(١) ـ رواه ابو داود وغيره عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ومعنى لا يختلى خلاها : لا يقطع نباتها الرطب .

(٢) ـ اخرجه البخاري ومسلم عن سعد وابي هريرة رضي الله عنهما .

(٣) ـ رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه .

(٤) ـ القرن : اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة . ويطلق القرن على مدة من الزمان ، واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين (سبل السلام : ١٢٦/٤) .

يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن »[1] .

٤ ـ عصره :

ان عصر سعيد هو عصر التابعين أي من نهاية عهد الخلفاء الراشدين وولاية معاوية سنة ٤١ هـ الى أوائل القرن الثاني الهجري . والتابعي : هو من لقي الصحابي وأخذ عنه . وعصر التابعين متداخل في عصر الصحابة ، فقد كان كبار التابعين ، وعلى رأسهم سعيد بن المسيِّب ـ كما سنرى في فصل منزلته العلمية ـ يفتون بالأمصار مع وجود الصحابة فيها . وقد أثنى الله تعالى عليهم بقوله : « والذين اتبعوهم باحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، ذلك الفوز العظيم[2] » .

ومعنى اتباعهم ـ كما قال ابن القيم[3] ـ هو سلوك سبيل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والسير على منهاجهم في التزام القرآن والسنة النبوية ، واتباع سيرة الصحب والخلفاء الراشدين المهديين بالذات ، واقتفاء العلم الصحيح ، والعمل بما يعلمه المؤمن الصادق ، عملا بما أوصى به نبي الله اذ قال : « أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي

(١) ـ اخرجه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) ـ الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

(٣) ـ اعلام الموقعين : ٢٢٢/٢ ، ط السعادة .

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة[1] » .

وقد استفاد سعيد فعلا من علم الصحابة ، فوهبه الله علما واسعا : « من عمل بما علم ، أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم[2] » وهذا العصر هو المعروف عند مؤرخي التشريع الاسلامي بالدور الثالث الذي بدأ فيه الاضطراب العلمي ، وتعذر الاجماع غالبا ، وانحصرت الثقة العلمية بالفقهاء ، وكانت أسباب هذا الاضطراب اجمالا هي ما يأتي[3] :

١ ـ تفرق المسلمين سياسيا ، وانقسامهم الى طوائف ثلاث : خوارج ، وشيعة ، وجمهور معتدلين . فقد استبدت كل طائفة بآرائها وعززت موقفها ، وجرّحت موقف الآخرين ، حتى وصل الحد الى التكفير والبراءة . وكان لهذا التفرق أثره الكبير في الحركة العلمية والاستنباط الفقهي .

٢ ـ تفرق علماء المسلمين في الامصار بعد ان كانوا محصورين في المدينة . ولكن ظل لمكة والمدينة بسبب حرمتهما الدينية

---

(١) ـ رواه ابو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(٢) ـ رواه ابو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) ـ تاريخ الفقه الاسلامي للسايس : ص ٦١ وما بعدها ، تاريخ التشريع الاسلامي للخضري : ص ١٣١ ـ ١٤٧ نظرة في تاريخ الفقه الاسلامي لعلي حسن عبد القادر ص ١٠٦ وما بعدها .

مكانة علمية ، ودور في تحقيق اللقاء والاتصال بين علماء الامصار •

٣ ـ انقسام العلماء من الجمهور المعتدلين الى مدرستين : مدرسة المدينة أو أهل الحديث ، ومدرسة الكوفة أو أهل الرأي • فغلبت على أصحاب المدرسة الاولى التزام النصوص بدون البحث عن علل الاحكام ، وغلب على أرباب المدرسة الثانية استنباط الاحكام الشرعية من طريق القياس او الاخذ بالرأي الصحيح الموافق لروح التشريع الاسلامي • وكان ابن المسيِّب من المدرسة الاولى ، لذلك قال لربيعة بن فروخ ، لما سأله عن علة حكم في الديات : أعراقي انت ؟

٤ ـ شيوع رواية الحديث بعد ان كانوا يتحرجون منها ، مخافة الكذب على رسول الله • فكان الصحابة ومعهم كبار المفتين من التابعين كابن المسيِّب ، وفقهاء المدينة السبعة ، يفتون الناس بما حفظوه من الاحاديث النبوية ، او برأيهم فيما لا نص فيه •

٥ ـ ظهور الوضاعين للحديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما كان يخافه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما •

٦ ـ ظهور متعلمي الموالي الذين افادهم الاسلام بمعارفه ، واعزهم بتسويتهم مع العرب ، وتلقيهم العلم عن علماء المسلمين اثناء الفتح الاسلامي • والموالي : هم من دخل في الاسلام من غير العرب من أبناء فارس والروم ومصر ،

لان من أسلم على يد رجل فهو مولاه . ومنهم أبناء الاسرى، الذين رباهم المسلمون ، وعلموهم القرآن والسنة ، فصاروا فقهاء البلاد ، بالرغم من ظهور العصبية العربية الشديدة في عهد الامويين[1] .

وعصره في الجملة كان مشحونا بالفتن والثورات والاضطرابات الدموية من الناحية السياسية : فقد شهد وهو صغير يافع مقتل عمر ، وتبعه وهو في مقتبل الشباب مقتل عثمان والفتنة الكبرى ، وآل الامر ,وهو في ريعان الشباب الى مقتل علي وحروب الصحابة العنيفة مثل موقعة صفّين بين جماعة علي وجماعة معاوية . ثم شهد انفصال المدينة والبيعة لخليفتين : ابن الزبير في الحجاز ومصر ، ويزيد في الشام ، والحروب الرهيبة التي دارت بينهما وامتدت الى المدينة ، في موقعة الحرة المؤلمة الفظيعة سنة ٦٣ هـ .

وتمخضت الفتن والاحداث الى ظهور الفرق من خوارج وشيعة ومرجئة ومعتزلة اثرت كلها تأثيرا بعيدا في توجيه السياسة الاسلامية[2] . وكادت الامة العربية تمزقها العصبية القبلية عند وفاة مروان بن الحكم . ولكن استطاع عبد الملك بن مروان المؤسس الثاني للدولة الاموية اطفاء جذوة الفتن بالقضاء على ان الزبير في مكة واسترجاع جميع البلاد تحت سلطته . الا انه في

(١) ـ تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن : ٣٤٢/١ .
(٢) ـ تاريخ الاسلام السياسي : ٣٧٥/١ ، ٣٩٧ ، ٤١٦ ، ٤١٨ .

عهد الامويين تأثرت النواحي الاخلاقية والدينية والعلمية تأثـرا جزئيا لايصل الى درجة الهزة العنيفة التي اصابت الحياة السياسية. فلم تعد هناك تلك الروح الاسلامية الصافية المثالية التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين ، ولم يبق لمبدأ الشورى منزلته التي كانت في عهد السلف ، فكان الامويون ملوكا دنيويين ، اكثـر منهم خلفاء دينيين. وخف التمسك الدقيق أحيانا بالسنة ، وظهرت الكراهية الشديدة بين العلماء والحكام ، فلم يبايعهم بعض الفقهاء كما تجلى من سعيد بن المسيِّب قائلا : « جزى الله معاوية ، فهو أول من جعل هذا مـلكا » . وعذب سعيد وسجن وضرب من قبل والي المدينة فاعتبر الفقهاء وعلى رأسهم ابن المسيِّب أنفسهـم « حماة الدين » ليحققوا المثل الاعلى الذي ينشده الاسـلام ويعم الحياة العامة كلها[1] .

ولكن مع كل هذا : ظلت في عصر بني أمية الذي عاش فيـه سعيد ايضا نشوة الفتوحات الاسلامية عالية ، كما كانت في عهـد الراشدين اذ امتدت الى الشرق والغرب من المحيط الاطلسي الى تخـوم الصين ، وبقي الدين والايمان غضا في القلوب ، والعقائد راسخة ، ولاحكام الدين المكان الاول في نفوس المسلمين عامة ، حكاما ومحكومين . وانتعشت الحركة الفقهية بين العلماء في الامصار ، وسخط الخلفاء على ما كان يتسرع به الولاة من ايذاء احد من الفقهاء

---

(١) ـ نظرة في تاريخ الفقه لعلي حسن : ص ١٠٦ ـ ١١٣ ، تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن : ٤٣٧/١ .

كما سنعلم بالنسبة لابن المسيّب مثلا ، ولم يقصر العرب عن غيرهم في ميدان الفقه ورواية الحديث خلافا لما زعم بعض الشعوبيين ، ولم يصح مازعمه المستشرقون من وجود ظاهرة عدم الاهتمام باحكام الدين ، وعدم المعرفة بشئونه ، لدى الحكام والعلماء والتابعين والشعب[1] . ولم يبرز هذا الانفصال الموسع بين ماسموه ((أهل الحديث وأهل الرأي)) اذ لم يكن لهاتين النزعتين موطن، ولا اختص بهما اقليم ، وهما موجودتان في الحجاز وفي العراق وفي جميع الاقطار . وكل من الفريقين يعمل بالرأي وبالحديث معا ، كل في حدوده الشرعية المعروفة ، فهذا ابن المسيّب كان يبحث عن روح التشريع ، ويتغلغل هو وغيره في استقصاء المعاني ، وكان واسع الفتيا ، حتى سموه ((الجريء)) بسبب خصوبة علمه وسعة نظره وقوة حفظه ، وايجابيته في الافتاء بالحوادث والقضايا الجديدة التي أملاها التطور الحادث ، دون معارضة السنن او طرحها حقيقة مما يجعله رأيا مذموما حينئذ .

٥ ـ بيئتـه :

بعد ان كانت المدينة في شباب ابن المسيّب تصخب بالحياة الزاهرة في عهد الخلفاء الراشدين ، اذ كانت عاصمة الدولة الاسلامية الفتية ، صارت منكمشة على نفسها ، بانتقال عاصمة الدولة والخلافة الى الشام في عهد الامويين بدءا من خلافة معاوية بن ابي سفيان . وبقيت لها في الواقع منزلتها

(١) ـ محاضرات في تاريخ الفقه للسنهوري : ص ٣٠ ومابعدها .

العلمية والادبية لما لها من حرمة في قلوب المسلمين • وقد اينعت النهضة العلمية التي ظهرت في المدينة وازدهرت في العصر العباسي•

ومن وقت تحول الخلافة الى ملكية وراثية[1] وانتقال عاصمتها من المدينة ، بدأت نواة الانفصال او التباعد بين السياسة والدين او بين العلماء والحكام ، ولولا ان اغلب الخلفاء كان يجمع بين العلم والفقه والتدين والسياسة ، لاتسع الخرق والهوة ، وتحقق عزل الدين عن الحياة ، كما آل اليه الأمر في الوقت الحاضر وما سبقه من عصور الانحطاط والتخلف في البلاد الاسلامية •

وكان موقف ابن المسيِّب في أوقات الازمات والفتن اما ايجابيا ، أو سلبيا ، وتظهر ايجابيته في معارضته البيعة لخليفتين: الوليد وسليمان ، بعد عبد الملك بن مروان ، او امتناعه من البيعة كما حدث مع عبد الله بن الزبير ، أو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر كموقفه من معاوية والحجاج وغيرهما ، كما سنبين في بحث

---

(١) ـ الفرق بين الخليفة والملك : عن سفيان بن ابي العرجا قال : قال عمر بن الخطاب : والله ما ادري اخليفة انا ام ملك ؟ فان كنت ملكا فهذا امر عظيم . فقال قائل : يا امير المؤمنين ، ان بينهما فرقا ، قال : ما هو ؟ قال : الخليفة لا يأخذ الا حقا ، ولا يضعه الا في حق ، وانت بحمد الله كذلك ، والملك يعسف الناس ، فيأخذ من هذا ويعطي هذا ، فسكت عمر . وقال سلمان الفارسي : قال له عمر : املك انا ام خليفة ؟ فقال له سلمان : ان انت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ، ثم وضعته في غير حق ، فأنت ملك غير خليفة . فاستعبر عمر (تاريخ الخلفاء : ص ٩٥) .

خصائص شخصيته وموقفه من السياسة ، او محاولته الاصـلاح بين متنازعين في بعض القضايا السياسية الخطيرة ، كإصلاحه بين عثمان وعلي في بعض الروايات . وانكر ذلك ابن معين ، وقال : هذا باطـل[1] .

وأما سلبيته فتتجلى في ملازمته المسجد واعتزاله الفتنـة حيث لا ينفع التوسط والشفاعة والتفاهم كما حدث منه اثنـاء موقعة الحرة العظيمة ، حتى قيل عنه : « انظروا الى هذا الشيخ المجنون[2] » وهناك سلبية قهرية بدت حينما جلده امير المدينـة ونهى الناس عن مجالسته[3] .

وفي الجملة : هي بيئة علمية برزت فيها عبقريات فئة ، تعتمد احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآراء الصحابـة ، وخصوصا فتاوى عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عباس . قال الامام مالك : كان أعلم الناس عندنا بعد عمر زيد ، وكان امام الناس عندنـا بعده ابن عمر ، وكان سعيد بن المسيّب جل ما يفتي به مـن فتاوى زيد ، وكان يقول : هو أعلم من تقدمه بالقضاء ، وابصرهم بما يرد عليه ، مما لم يسمع فيه بشيء[4] » .

---

(١) مشاهير علماء الامصار : ص ٦٣ .

(٢) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٢/٥ ، تاريخ الذهبي : ٧/٤ ، البداية والنهاية : ٢٢١/٨ .

(٣) ـ حلية الاولياء : ١٧٢/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٢٨/٥ .

(٤) ديوان المدارك للقاضي عياض : ١٧/١ نقلا عن تاريخ الفقة الاسلامي للدكتور علي حسن : ص ١٣٩ .

وكان المفتون في المدينة من التابعين : سعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وخارجة بن زيد ، وابـا بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهؤلاء هم المعروفون بالفقهاء السبعة .

وقد نظمهم القائل فقال :

اذا قيل : مَن في العلم سبعة أبحر

روايتهم ليست عن العلم خارجـه

فقل : هم عبيد الله ، عروة ، قاسم

سعيد، أبوبكر، سليمان، خارجه [1]

وانما قيل :

الفقهاء السبعة ، لانهـم كانوا بالمدينة في عصر واحد ، ومنهم انتشر العلم والفتيا . وقيل : لأن الفتيا بعد الصحابـة صارت اليهم ، وشهروا بها[2] .

وقد اعتبر بعضهم الخليفة عبد الملك بن مروان من فقهـاء

---

(١) ـ اعلام الموقعين : ٢٣/١ ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٧٣ ، الباعث الحثيث ص ١٩٤ ، طبقات ابن سعد : ٣٨٢/٢ وما بعدها .

(٢) ـ مرآة الجنان : ١٨٨/١

المدينة قبل استخلافه ، فقال ابو الزناد : فقهاء المدينة : سعيد ابن المسيّب، وعبد الملك بن مروان ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة ابن ذؤيب[1] ، وقال الاعمش : فقهاء المدينة اربعة : سعيد بن المسيّب ، وعروة وقبيصة ، وعبد الملك[2] .

وكل العلماء متفقون على أن أفضل هؤلاء الفقهاء هو ابن المسيّب . قال جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ قال : أما أفقههم فقها وأعلمهم بقضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضايا أبي بكر وقضايا عمر وقضايا عثمان وأعلمهم بما مضى عليه الناس فسعيد بن المسيّب . وقال الزهري : كنت أطلب العلم من ثلاثة : سعيد بن المسيّب وكان افقه الناس ، وعروة ابن الزبير وكان بحرا لا تكدره الدلاء ، وكنت لاتشاء ان تجد عند عبيد الله طريقة من علم لا تجدها عند غيره الا وجدت[3] .

وقال الخزرجي عنه : رأس علماء التابعين وفردهم وفاضلهم وفقيههم[5] .

ثم انتقلت الفتوى من هؤلاء الى غيرهم مثل أبان بن عثمان، وسالم ، ونافع ، وابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعلي بن الحسين . وجاء بعد هؤلاء : ابو بكر بن حزم ، وعبد الله بن عمر

(١) ــ تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٤٤ .
(٢) ــ اعلام الموقعين : ٢٢/١
(٣) ــ اعلام الموقعين : نفس المكان .
(٤) ــ خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ .

ابن عثمان ، وعبد الله والحسين ابنا محمد ابن الحنفية ، وجعفر ابن محمد ، وعبد الرحمن بن القاسم ، ومحمد بن المنكدر، ومحمد ابن شهاب الزهري[1] .

٦ ـ زواجه واولاده :

تزوج سعيد بابنة الصحابي الجليل أبي هريرة ، فكان صهره ، زوّجه ابو هريرة بابنته ، وكان اذا رآه قال : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة . ولهذا اكثر عنه من الرواية[2] .

ويظهر أن له زوجة اخرى انجب منها الاولاد ، ولعله تزوجها قبل ابنة ابي هريرة ، وهي أم حبيب بنت أبي كريم ، بن عامر ، بن عبد ذي الشّرى ، بن عتّاب ، بن أبي صعب ، بن فهم ابن ثعلبة ، بن سليم ، بن غانم بن دَوْس .

وأولاده من أم حبيب هذه ، وهم : محمد وكان نسابة ، وسعيد ، والياس ، وأم عمرو ، وأم عثمان ، وفاختة . وله ابنة اخرى اسمها مريم وأمها أم ولد أي جارية[3] .

٧ ـ هيئته وحليته ولباسه وعاداته : (ان الله جميل يحب الجمال) .

---

(١) ـ اعلام الموقعين ، المكان السابق .

(٢) ـ المرجع السابق : ص ٢٣ ، طبقات ابن سعد : ١٢٠/٥ .

(٣) ـ طبقات ابن سعد : ١١٩/٥ ، شذرات الذهب : ١٠٣/١ .

يبدو لنا أن ابن المسيّب كان أقرب الى الفقر منه الى الغني ، بدليل قوله السابق في طبع جده : « فمازلنا نعرف الحزونة » . بيد أنه كان جميل الوصف ، حسن الهندام ، بدوي الملبس ، نظيف الجسد ، ملتزما بالسنة النبوية في مظهره كله .

وكان طويل القامة ، أبيض الرأس واللحية ، لا يغير خلقته ، ولا يخضب رأسه بالحناء ، مع انه لابأس بالخضاب كله[1] ، ويصفّر لحيته ، ويصلي أحيانا في نعليه ، ولا يحفي شاربه جدا ، وانما يأخذ منه أخذا حسنا ، ولم يكن بين عينيه أثر السجود ، بالرغم من كثرة عبادته وصلاته في جوف الليل ، وكان أعور[2] . ويظهر أن فقد احدى عينيه أكسبه حدة الذهن ، وقوة الذاكرة ، وسرعة البديهة ، اذ من المعروف أنه اذا فقدت احدى الحواس ترتد قوة الحاسة الى حواس اخرى . وكان لا يدع ظفره يطول ، اذ أن تقليم الاظفار سنة[3] ، كما هو معروف . ويحفي شاربه شبيها بالحلق ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يطولن أحدكم شاربه ، فان الشيطان يتخذه مخبأ به » . وقال أيضا : « من لم يأخذ شاربه فليس منا[4] » .

وكان يلبس مـلاء شرقية . قال بعضهم وهـو عمران بـن

---

(١) ـ مكارم الاخلاق للحسن بن الفضل الطبرسي من اعلام القرن السادس الهجري : ص ٧٨ .

(٢) ـ طبقات ابن سعد : ١٤٠/٥ .

(٣) ـ مكارم الاخلاق : ص ٦٤ .

(٤) ـ المرجع السابق : ص ٦٧

عبد الله : ما أحصي ما رأيت على سعيد بن المسيِّب من عدة قمص الهروي ، وكان يلبس هذه البرود الغالية البيض ، وكان يحتلط[1] في العيدين : يوم الفطر والنحر[2] أي انه يلبس لباسا خاصا في الاعيـــاد .

وقال اسماعيل بن عمران : كان سعيد بن المسيِّب يلبس طيلسانا ازراره ديباج[3] . وقال محمد بن هلال : لم أر سعيد ابن المسيِّب لبس ثوبا غير البياض[4] أي انه كان يلبس لباس اهل السنة .

وقال خالد بن الياس : رأيت على سعيد بن المسيِّب قميصا الى نصف ساقية وكميه ، طالعة أطراف اصابعه ، ورداء فــوق القميصين : خمس أذرع وشبرا[5] .

وكان يلبس السراويل ، وله جميمة[6] ليست بالكثــيرة قد فرقها[7] وقال عاصم : رأيت سعيد بــن المسيِّب يحتفــي ، يمشي بالنهار حافيا ورأيت عليه بتّاً[8] .

ووصف لنا عبيد بن نسطاس عمامته فقال : رأيت سعيد بن

---

(١) ـ اي يسرع في الامر ، ولعله يريد انه كان يلبس هذا اللباس المتميز فـي الاعيــاد خاصة .

(٢) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٢/٥ وما بعدها .

(٣) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٩/٥ .

(٤) ـ المرجــع السابــق .

(٥) ـ المرجع السابق .

(٦) ـ جميمة تصغر جمة : وهي مجتمع شعر الرأس .

(٧) ـ المرجع السابق .

(٨) ـ المرجع السابق : ص ١٣٣ ، والبت : الطيلسان من خز ونحوه .

المسيِّب يعتم بعمامة سوداء ، ثم يرسلها خلفه ، ورأيت عليه ازارا وطيلسانا وخفين[1] .

وقال عثيم : رأيت سعيد بن المسيِّب يلبس في الفطر والاضحى عمامة سوداء ، ويلبس عليها برنسا احمر ارجوانا[2] .

وكان اثناء مشيه كما وصف لنا عاصم بن عباس الاسدي : يصافح كل من لقيه ، واردف قائلا : ورأيت سعيدا يكره كثرة الضحك ، ورأيت سعيدا يتوضأ كلما بال ، واذا توضأ شبك بين أصابعه[3] اي انه يتعهد ويلتزم اخلاق الاسلام وآداب الشرع ، فيقبل على ما يرضي الله ويؤدي الى المحبة بين الناس ، ويعرض عن اللغو وعن الضحك لان كثرة الضحك تميت القلب .

وكان لا يستحب ان يسمي ولده بأسماء الانبياء[4] .

والحقيقة ان التجمل باللابس من قواعد الاسلام ، فهو مظهر لا يتنافى مع التقوى ، ولا ينقص العبد قربة الى الله ، كما يظن بعض الناس او الدراويش زعما منهم انه زهد في الدنيا ، وهو في الواقع مناف لما ورد في السنة ، ونزل في القرآن ، استدل ابن عباس على ضرورة التجمل باللباس بقوله تعالى : « قل : من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، قل هي للذين

---

(١) ـ المرجع السابق : ص ١٣٨ .
(٢) ـ المرجع السابع : ص ١٣٨ .
(٣) ـ المرجع السابق : ص ١٣٣ .
(٤) ـ المرجع السابق ص : ١٣٣ .

آمنوا في الحياة الدنيا »[1] ويرشد اليه الآية التي سبقتها : « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد »[2] .

وثبت في السنة النبوية ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى يحب ان يرى أثر نعمته على عبده »[3] واخرج مسلم والترمذي وابو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر ، قال رجل : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنة ، قال : ان الله جميل يحب الجمال[4] ، الكِبْر : بطر الحق، وغمط[5] الناس » .

وأما حديث : « ان الله تعالى يحب المؤمن المتبذل الذي لا يبالي ما لبس » فهو حديث ضعيف لا حجة فيه . وفي ختام الكلام عن حكم اللباس والتجمل نذكر قول سعيد : عن علي بن زيد قال : رآني سعيد بن المسيب ـ وعلي جبة خز ـ فقال : انك لجيد الجبة ، قلت : وما تغني عني وقد افسدها علي سالم . فقال سعيد : اصلح قلبك والبس ما شئت[6] .

---

(١) ـ الآية ٣٢ من سورة الاعراف (٢) الآية ٣١ من سورة الاعراف .

(٣) ـ رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمرو رضي الله عنه ، وهو حديث حسن.

(٤) ليس المراد من الحديث جمال الخلقة او الصورة المزيفة في عرف الناس ، فرب اشعث اغبر قبيح لو اقسم على الله لابره . وانما المراد هو ان الله يحب التجمل في الهيئة ، وعدم اظهار الحاجة لغيره ، والعفاف عمن سواه : « ان الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف ابا العيال » رواه ابن ماجه عن عمران بن حصين.

(٥) ـ بطر الحق : انكاره ، وغمط او غمص الناس : أي احتقارهم والاستخفاف بهم .

(٦) ـ حلية الاولياء ١٧٣/٢ . والخز : ما نسج من صوف وحرير .

٨ ـ وفاته (سنة الفقهـاء) :

توفي سعيد بن المسيِّب رضي الله عنه أيام خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ــ ٩٦ هـ) في المدينة ودفن بها بالبقيع سنة ٩٤ هـ وهو ابن حوالي ثمانين سنة •

وكان يقال لهذه السنة التي مات فيها « سنة الفقهـاء » لكثرة من مات فيها من عامة فقهاء أهل المدينة •

مات في أولها علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام • ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيِّب ، وابو بكر سلمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[1] •

وفيها قتل الحجاج سعيد بن جبير رضي الله عنه ، لكونه خلع الحجاج وصار مع عبد الرحمن بن الاشعث • ارسل ابن جبير الى الحجاج من مكة فضرب عنقه ، وكان من اعلام التابعين • اخذ عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر • وعنه روى القرآن أبو عمرو • وقال الامام احمد : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى عمله[2] •

وهناك اقوال اخرى في تحديد سنة وفاة سيد التابعين سعيد ابن المسيِّب ، قال ابو نعيم : مات سنة ثلاث وتسعين • وقـال علي بن المديني وابن معين والمدائني : سنة خمس ومائة رحمـه

---

(١) ــ تاريخ الطبري : ٤٩١/٦ ، شذرات الذهب : ١٠٣/١ ، طبقات الفقهاء : ٢٤ مرآة الجنان : ١٨٧/١ ــ ١٩٢ ، طبقات ابن سعد : ١٤٣/٥ .

(٢) ــ تاريخ ابن الوردي : ٢٧٠/١ وما بعدها .

الله تعالى[1] . قال الحاكم : أكثر أئمة الحديث على هذا .

وقال ابن خلكان : توفي بالمدينة سنة احدى ــ وقيل : اثنين، وقيل : ثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ــ وتسعين للهجرة . وقيل : أنه توفي سنة خمس ومائة ، والله أعلم ، رضي الله عنه[2].

وقال حبيب بن هند الاسلمي : قال لي سعيد بن المسيب : انما الخلفاء ثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعمر بن عبد العزيز . قلت له أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر ؟ قال : ان عشت أدركته ، وان مت كان بعدك . قال حبيب : ومات ابن المسيب قبل خلافة عمر [3] . وهذا في رأيي اجمالا هو الارجح . وكانت خلافة ابن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام من عام ٩٩ ــ ١٠١ هـ[4] .

ألا طيب الله ثراه ، وعطر ذكره في الخافقين ، وجزاه الله عن أمة الاسلام خير الجزاء لما قدم لها من ثروة علمية حفظ لها بها دينها ، ومهد السبيل لازدهار ونمو حركة الاجتهاد الفقهي في عصر أئمة المذاهب في القرنين الثاني والثالث الهجري .

٩ ــ وصاياه في مرض موته وتشييع جنازته :

قال سعيد في مرضه الذي مات فيه : اذا ما مت فلا تضربوا

---

(١) ــ خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ ، تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ ، مشاهير علماء الامصار : ص ٦٣ ، تذكرة الحفاظ : ٥٦/١ ، طبقات الفقهاء : ص ٢٤ ، تاريخ الذهبي : ٧/٤ ، تاريخ الخلفاء : ص ١٥٠ .

(٢) ــ وفيات الاعيان : ٣٧٨/٢ ، وانظر ضبط الاعلام لاحمد تيمور : ص١٤٩

(٣) ــ تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٥٥ .

(٤) ــ البداية والنهاية : ١٨٤/٩ ، ١٩١ وما بعدها .

على قبري فسطاطا ، ولا تحملوني على قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ،ولاتؤذنوا بي احدا ، حسبي من يبلغني ربي ، ولا يتبعني راجزهم هذا[1] . وهذا هدي الاسلام في تشييع الجنازة .

ولما اشتد وجعه عليه ، دخل عليه نافع بن جبير بن مطعم يعوده ، فاغمي عليه ، فقال نافع : وجهوا فراشه الى القبلة ، ففعلوا فافاق ، فقال : من أمركم ان تحولوا فراشي الى القبلة ، انافع ابن جبير أمركم ؟ فقال نافع : نعم ، فقال له سعيد : لئن لم اكن على القبلة والملة ، لا ينفعني توجيهكم فراشي[2] . وهذا يرشدنا الى أن العبرة بجوهر الايمان المستكن في القلب ، لا بالمظهر والشكل.

وقال أيضا : عليها - أي على الارض - ولدت ، وعليها اموت، وعليها ابعث ان شاء الله[3] .

وكان اثناء المرض يصلي مستلقيا ايماء[4] .

وكره ان يتبع في جنازته برجز ، وقال : حسبي من يقلبني الى ربي ، وان يمشوا معي بمجمَر[5] ، فان اكن طيبا ، فما عند الله أطيب من طيبهم[6] .

وقال : أوصيت أهلي اذا حضرني الموت بثلاث : الا يتبعني راجز ، ولا نار ، وأن يعجل بي ، فان يكن لي عند ربي خير ، فهو خير مما عندكم[7] .

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٤٢/٥ .
(٢) ـ المرجع السابق .
(٣) ـ المرجع السابق .
(٤) ـ المرجع السابق : ١٤١/٥ .
(٥) ـ المجمر : اسم الشيء الذي يجعل فيه الجمر والبخور .
(٦) ـ المرجع السابق : ١٤٢/٥ .
(٧) ـ المرجع السابق : ١٤٢/٥ .

الفصل الثاني

خصائص شخصية سعيد وشمائله

لم يكن سعيد بن المسيّب سيد التابعين الا مثلا أعلى للقيم والفضائل والنشاط والطموح والرجولة ، والتدين المتين ، وكان ينظر اليه كأنه علم من أعلام من تقدمه من صحب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فهو نسيج وحده ، وطراز رفيع ، مثل اتباعه للرعيل الاول خير تمثيل . لهذا قال المؤرخون عنه : ((كان سعيد جامعا ، ثقة ، كثير الحديث ، ثبْتا ، فقيها ، مفتيا ، ماموناً ، ورعا ، عاليا ، رفيعا [(١)])) ((كان سيد التابعين من الطراز الاول ، احد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع [(٢)])) .

اوصاف عالية كهذه تتطلب مقومات شخصية اشد واثبت

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٧/٥ .

(٢) ـ وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ ، شذرات الذهب : ١٠٢/١ ، مرآة الجنان : ١٨٦/١ .

وأجل منها ، اذ ان الوعاء ينضح بما فيه ، ويستوعب كل ما حل فيه ، والدلائل والبينات الآتية تشير لمثل هذه الغرر والنفائس الغاليـة .

١ ـ وقاره ونوره :

كل عظيم من العظماء يتمتع بهيبة وجلال واضح ، ويتميز بميزات فريدة ، ترتسم على صفحات وجهه ، وتقترن بحركاته وسكناته ، وكلامه واقواله وافعاله ، فلا يسع من رآه الا اكباره وتعظيمه وتهيبه . وكذلك كان سعيد بمثل هذه الجلالـة المتسمة بالتواضع ، البعيدة عن اي شائبة من شوائب الكبر والبطر ، والاغترار بالنفس . قال عبد الرحمن بن حرملة : « ما كان انسان يجترىء على سعيد بن المسيِّب ، يسأله عن شيء حتى يستأذنه ، كما يستأذن الامير[1] » .

وكان بادي الايمان ، متنورا بنور الله ، متشبع القلب والجوارح بسبب صلاحه وتقواه بالبهاء والصفاء والنورانية الربانية ، التي تتفتح امامها الظلمات ، وتستضيء بها الحوالك . قال ابن حرملة : أدرك سعيد بن المسيِّب رجلا من قريش ، ومعه مصباح في ليلة مطيرة ، فسلم عليه ، وقال : كيف امسيت يا ابا محمد ؟ قال : احمد الله . فلما بلغ الرجل منزله دخل ، وقال :

---

(١) ـ حلية الاولياء : ١٧٣/٢ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .

نبعث معك بالمصباح ، قال : لا حاجة لي بنورك ، نور الله أحب الي من نورك[1] .

٢ ـ تدينه وعبادته : (راهب قريش) :

في هذا المجال يدهش الانسان ويذهل امام سيرة ابن المسيِّب التي اترعت بأخبار تصف لنا عبادته وصلاته وحجه وصومه كأمثال الجبال ، تنوء بحملها همم الرجال الاشداء ، وكيف تسنى له ذلك مع اشتغاله بالعلم ، وطلبه الحديث ، وانهماكه في التفكير والافتاء ، أليست الراحة الجسدية أصلا للحركة الذهنية ؟ لقد أتعب جسده في طاعة الله ، فأسهر ليله بالصلاة ، وأظمأ نهاره بالصوم ، وأضنى نفسه في الاسفار لحج بيت الله الحرام ، حتى انه لقب « براهب قريش » لعبادته وفضله[2] . ولا غرو فكان قدوته صحب الرسول الذين وصفوا بأنهم رهبان الليل وفرسان النهار .

وتختل الموازين العادية عند ذوي الايمان الراسخ ، فتصبح الطاعة حلاوة ، والتدين غذاء ، والعذاب الجسدي سموا للروح ومتعة للنفس ، والعبادة راحة وسعادة : قال عليه السلام : « وجعلت قرة عيني في الصلاة[3] » وقال تعالى : « ان ناشئة الليل

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٧/٥ .

(٢) ـ مرآة الجنان : ١٨٩/١ .

(٣) ـ نص الحديث بكامله : « حبب الي من دنياكم : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » رواه احمد في مسنده والنسائي والحاكم والبيهقي عن انس بن مالك ، وهو حديث حسن .

هي أشد وطأ وأقوم قيلا[١] » أي أن قيام الليل والصلاة في جوفه هو أشد مواطأة وموافقة بين القلب واللسان ، وأجمع للخاطر في أداء تلاوة القرآن وتفهمها من قيام النهار ، لانه وقت انتشار الناس ولغط الاصوات وأوقات المعاش[٢] . قال ابن المسيِّب نفسه : « ما اكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل ، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله[٣] » . وقال خالد بن داود ـ ابن أبي هند ـ سألت سعيد بن المسيِّب ، : ما يقطع الصلاة ؟ قال : الفجور ، ويسترها التقوى[٤] .

وقد جمع ابن المسيِّب بين روح العبادة وحقيقتها ، وبين مراسمها وكيفيتها المشروعة ، فاعتبر ـ وهو الواقع ـ ان التفقه في الدين والتفكر في أوامر الله ، والورع عن محارم الله ، وأداء فرائض الله هو العبادة . وهذا صحيح تماما لان الشكل أو المظهر لا قيمة له اذا لم يحقق المغزى والمعنى الذي يتضمنه . وغاية العبادة الحقة هي ان تمتلىء النفس خشية وأن تلتزم بالمقاصد التشريعية السامية التي شرعت من أجلها العبادة : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم

(١) ـ الآية ٦ من سورة المزمل .
(٢) ـ تفسير ابن كثير : ٤/٤٣٥ .
(٣) ـ صفة الصفوة : ٢/٤٤ ، وفيات الاعيان : ٢/٣٧٥ ، البداية والنهاية : ٩/١٠٠ .
(٤) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦٣ .

ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون[1] » « ألم يأن للذيـن آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق[2] » .

قال بكر بن خنيس ، قلت لسعيد بن المسيِّب ــ وقد رأيت أقواما يصلون ويتعبدون ــ : يا أبا محمد ألا تتعبد مع هــؤلاء القوم ، فقال لي : يا ابن أخي ، انها ليست بعبادة ، قلت لــه : فما التعبد يا أبا محمد ؟ قال : التفكر في أمر الله ، والورع عــن محارم الله ، وأداء فرائض الله تعالى[3] .

وقال صالح بن محمد بن زائدة : ان فتية من بني ليــث كانوا عبادا ، وكانوا يروحون بالهاجرة[4] الى المسجد ، ولايزالون يصلون حتى يصلى العصر . فقال صالح لسعيد : هذه هي العبادة!! لو تقوى على مايقوى عليه هؤلاء الفتيان . فقال سعيد : ما هذه العبادة ، ولكن العبادة : التفقه في الدين ، والتفكر في أمر الله تعالــى[5] .

التهجــد (او الصلاة ليلا) :

وأما مراسم العبادة : فكان ابن المسيِّب يكثر من الصــلاة في جوف الليل ، يتهجــد فيه ، باعتبار التهجد سنة ، وكان فرضا

---

(١) ــ الآية ٤ من سورة الانفال .
(٢) ــ الآية ١٦ من سورة الحديد .
(٣) ــ حلية الاولياء : ١٦١/٢ وما بعدها .
(٤) ــ الهاجرة : نصف النهار في القيظ اي شدة الحر ، او من عند زوال الشمس ظهرا الى العصر ، لان الناس يسكنون في بيوتهم ، كأنهم قد تهاجروا .
(٥) ــ حلية الاولياء : ١٦٢/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٣٥/٥ .

على النبي صلى الله عليه وسلم : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا[1] » « ان ربك يعلم أنـك تقوم أدنى من ثلثي الليل ، ونصفه وثلثه ، وطائفـة من الذيـن معـك[2] » ، وقال الله تعالى في الحديث القدسي : « ولايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لاعطينه ، ولئن استعاذني لا عيذنـه[3] » .

ويمكننا معرفة ولاية سعيد من عبادته في الليل ومما قاله هو نفسه ، فكان رضي الله عنه يقول لنفسه اذا دخل الليل : « قومي يامأوى كل شر ، والله لادعنك تزحفين زحف البعير ، فكان يصبح وقدماه منتفختان ، فيقول لنفسه : بذا امرت ، ولذا خلقت[4] » .

قال ابن حرملة : حفظت صلاة ابن المسيّب وعمله بالنهار ، فسألت مولاه عن عمله بالليل ، فأخبرني ، فقال : وكان لا يدع أن يقرأ بصاد ، والقرآن كل ليلة ، فسألته عن ذلك ، فاخبر ان رجلا من الانصار صلى الى شجرة ، فقرأ بصاد ، فلما مر بالسجدة سجد ، وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول : اللهم اعطني بهذه

---

(١) ـ الآية ٧٩ من سورة الاسراء .
(٢) ـ الآية ٢٠ من سورة المزمل .
(٣) ـ رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه .
(٤) ـ الطبقات الكبرى للشعراني : ١/٣٠ .

السجدة اجرا ، وضع عني بها وزرا ، وارزقني بها شكرا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود[1] .

صلاته الصبح والعشاء بوضوء واحد :

وقد صلى فرض الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة ، قال عبد المنعم بن ادريس عن ابيه : صلى سعيد بن المسيِّب الغداة بوضوء العتمة[2] خمسين سنة[3] .

تلاوته القرآن :

قال عاصم بن العباس : سمعت ابن المسيِّب يقرأ القرآن بالليل على راحته فيكثر[4] .

صلاة الجماعة :

كان يحافظ على صلاة الجماعة ، لم تفته التكبيرة الاولى في الصف الاول مدة خمسين سنة . قال سعيد نفسه : « مافاتتني التكبيرة الاولى منذ خمسين سنة ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة » يعني لمحافظته على الصف الاول ، وقال ايضا :

---

(١) ــ حلية الاولياء : ١٦٥/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٣٢/٥ .

(٢) ــ العتمة : وقت صلاة العشاء . قال الخليل : العتمة : الثلث الاول من الليل بعد غيبوبة الشفق .

(٣) ــ حلية الاولياء : ١٦٣/٢ ، وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .

(٤) ــ طبقات ابن سعد : ١٣٣/٥ .

« من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة ، فقد ملأ البر والبحر عبادة » .

وقال اسماعيل بن امية عن سعيد بن المسيّب قال : « ما دخل علي وقت صلاة الا وقد اخذت أهبتها ، ولا دخل علي قضاء فرض الا وأنا اليه مشتاق »[2] . وهذا يدل على مدى اهتمامه بصلاة الفريضة التي أول ما يسأل عنها العبد يوم القيامة ، فاذا كانت حسنة يرجى ان تكون اعماله كلها حسنة ، واذا كانت سيئة كانت أعماله سيئة .

وقال الاوزاعي : كانت لسعيد بن المسيّب فضيلة لا نعلمها كانت لاحد من التابعين : لم تفته الصلاة في جماعة اربعين سنة ، عشرين منها لم ينظر في اقفية الناس[3] .

وعن ابن حرملة عن سعيد بن المسيّب قال : ما لقيت الناس منصرفين من صلاة منذ أربعين سنة[4] . وذلك كله لحرصه على ثواب صلاة الجماعة التي هي مظهر من مظاهر تجمع المسلمين وتعاونهم : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[5] » .

---

(1) ـ حلية الاولياء : ١٦٢/٢ وما بعدها ، طبقات ابن سعد : ١٣١/٥ في صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ ، شذرات الذهب : ١٠٣/١ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .

(2) ـ حلية الاولياء ، الموضع السابق .

(3) ـ المراجع السابقة .

(4) ـ المراجع السابقة . ويلاحظ انه لا تعارض في الاقوال بين اربعين سنة وخمسين سنة ، لان الاول في زمن متقدم والثاني متأخر .

(5) ـ رواه احمد في المسند ، واصحاب الكتب الستة ماعدا أبا داود عن ابن عمر رضي الله عنه . والفذ : الواحد .

ملازمته المسجد في مكان معين :

والسبّاق الى المساجد يستطيع الحفاظ على مكان معين ، لاينافسه عليه أحد، وهكذا كان شأن ابن المسيِّب عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالـوا : وما رياض الجنة ؟ قال : المساجد • قيل : وما الرتع ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر[1] » « من غدا الى المسجد ، أوراح ، أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أوراح[2] » « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد ، فاشهدوا له بالايمان • قال الله عز وجل : انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر[3] » ومن المعلوم أن الرجل المعلق قلبه بالمساجد من السبعة الذيـن يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله[4] اذ المساجد هي احب البلاد الى الله تعالى[5] •

وقد أراد ابن المسيِّب أن يفتح له باب الى جنان الخلد ، فلازم المساجد ، ومجالس العلم فيها ، وهي كلها رياض الجنة • قال الامام مالك رضي الله عنه : بلغني ان سعيد بن المسيِّب

---

(١) ــ رواه الترمذي عن ابي هريرة •

(٢) ــ رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة ، وغدا : ذهب.راح:رجع.

(٣) ــ رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجة ، وابن خزيمـة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم عن ابي سعيد الخدري •

(٤) ــ رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة • راجع الترغيـب والترهيب : ٢١٧/١ •

(٥) ــ روى مسلم عن ابي هريرة هذا الحديث ونصه : « احب البلاد الـى الله تعالى مساجدها ، وابغض البلاد الى الله اسواقها » •

كان يلزم مكانا من المسجد لا يصلي من المسجد في غيره ، وانه ليالي صنع به عبد الملك ماصنع ، قيل له : أن يترك الصلاة فيه ، فأبى الا أن يصلي فيه[1] . وقال سعيد : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة الا وأنا في المسجد . وقال مولاه (بُرْد) : ما نودي للصلاة منذ اربعين سنة الا وسعيد في المسجد[2] .

حرصه على صلاة الجماعة في الصبح والعشاء :

واذا قارنا علماء او متصوفة اليوم الذين يكثرون من النزهات ، بما كان عليه ابن المسيِّب ، وجدنا العجب العجاب ، فقد كان رحمه الله شديد الحرص على أداء صلاة الجماعة في الصبح والعشاء ، عملا بالسنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله [3] » « بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة[4] » « ان هاتين الصلاتين ـ الصبح والعشاء ـ اثقل الصلوات على المنافقين ، ولو تعلمون ما فيهما لاتيتموهما ، ولو حبوا على الركب[5] » .

---

(١) ـ وفيات الاعيان : ٣٧٧/٢ .

(٢) ـ حلية الاولياء : ١٦٢/٢ وما بعدها ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٣١/٥ .

(٣) ـ رواه مالك ومسلم وابو داود والترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

(٤) ـ رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . وذلك عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٥) ـ رواه احمد وابو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم عن أبي بن كعب رضي الله عنه . والحبو : زحف الصغير على يديه ورجليه .

ولقد حدث لابن المسيّب مرض في عينيه ، ولم يترك صلاتي الصبح والعشاء جماعة . اشتكى عينيه مرة ، فقيل له : يا ابا محمد، لو خرجت الى العقيق ، فنظرت الى الخضرة ، فوجدت ريح البرية ، لنفع ذلك بصرك ، فقال سعيد : فكيف اصنع بشهود العتمة والصبح[1] .

صيامه الدهر :

تاقت نفسه الى دخول الجنة من باب الريان ، الذي لا يدخل منه الا الصائمون يوم القيامة ، فاذا دخلوا اغلق ، فلم يدخل منه احد[2] ، لذلك اكثر من الصوم ، فكان يسر الصوم ، ويصوم الدهر[3] ، ويفطر ايام العيدين ، والتشريق (الثلاثة الايام التي تلي عيد الاضحى) لحرمة صومها شرعا[4] .

هذا وقد انقسم العلماء في حكم صوم الدهر الى طوائف ثلاث :

فقال ابن حزم وابن خزيمة وطائفة : انه يحرم لما ورد فيه من الوعيد الشديد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا ، وقبض كفه[5] » .

(١) طبقات ابن سعد : ١٣٢/٥ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢

(٢) ـ رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٣) ـ حلية الاولياء : ١٦٣/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٣٣/٥ ، ١٣٦ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ .

(٤) ـ راجع احاديث النهي عن صومها في سبل السلام : ١٦٩/٢ ، نيل الاوطار: ٢٦١/٤ .

(٥) ـ رواه احمد عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه .

وقال اسحاق واهل الظاهر ، وفي رواية عن احمد : انه يكره، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا صام من صام الابد[1] » ، وهو اما محمول على معنى الدعاء عليه ، زجرا له عن صنيعه ، او على سبيل الاخبار عن انه لم يصم ولم تحصل له فضيلة الصوم ، بسبب مكابدته الجوع والظمأ ، حتى انقلب عنده عادة ،ولم يفتقر الى الصبر على الجهد الذي يتعلق به الثواب[2] . ويؤيد المعنى الثاني حديث آخر : « لا صام ولا افطر ، او لم يصم ولم يفطر[3] » قال في فتح الباري : أي لم يحصل اجر الصوم لمخالفته ، ولم يفطر ، لأنه أمسك[4] .

وذهب جمهور العلماء الى استحباب صوم الدهر لمن اطاقه. وتأولوا احاديث النهي عن صيام الدهر التي اعتمد عليها ابن حزم وغيره بأن المراد من صام الدهر مع الايام المنهي عنها من العيدين وايام التشريق . وهو تأويل مردود بنهيه صلى الله عليه وسلم لابن عمرو ، وتعليله بأن لنفسه عليه حقا ، ولاهله عليه حقا ، ولضيفه عليه حقا .

واما حديث « لا صام من صام الابد » فمحمول على من كان

---

(١) ــ متفق عليه بين احمد والبخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٢) ــ سبل السلام : ١٧٢/٢ .

(٣) ــ رواه الجماعة (احمد واصحاب الكتب الستة) الا البخاري وابن ماجه عن ابي قتادة .

(٤) ــ نيل الاوطار : ٢٥٥/٤ .

يدخل على نفسه بالصوم مشقة ، او يفوت حقا • ولذلك لم ينه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عمرو الاسلمي عن متابعة الصيام ، حينما قال له : يارسول الله ، اني اسرد الصوم[1] •

ولا شك ان ابن المسيِّب بصومه الابد ماعدا الايام المنهي عنها سائر على مذهب الجمهور من الصحابة •

حجه أربعين حجة :

قال ابن حرملة : سمعت ابن المسيِّب يقول : لقد حججت أربعين حجة[2] • وهكذا لم يترك سعيد بابا من ابواب الجنة وسبيلا من سبل الطاعة الا ولجه ، وكان في قمة الصلحاء والاتقياء، والمتقربين الى الله بحسن الافعال • فأكثر من الحج والعمرة رغم أن فريضتهما في العمر مرة ، ولكنه تطوع فيما بعد ذلك ، طمعا في مغفرة الله وثوابه ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها ، وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة[3] » والحج المبرور أفضل الاعمال الى الله بعد الايمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله[4] • وقال صلى الله عليه

---

(١) ــ راجع سبل السلام ، نيل الاوطار ، المكان السابق ، احياء علوم الدين : ٢١٣/١ •

(٢) ــ حلية الاولياء: ١٦٤/٢ ، تاريخ الذهبي:٥/٤ ، وفيات الاعيان:٣٢٥/٢ •

(٣) ــ اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه •

(٤) ــ روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله • قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور •

وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم[1] » .

ويؤكد فضيلة حج التطوع أحاديث أخرى ، منها حديث قدسي . يقول الله عز وجل : « ان عبدا صححت له جسمه ، ووسعت عليه في المعيشة[2] تمضي عليه خمسة اعوام لا يفد الي لمحروم[3] » وهذا يدل على استحباب الحج للرجل الموسر الصحيح بأن لا يتركه كل خمس سنين .

العمل الصالح :

وهكذا يعتبر ابن المسيِّب العمل الصالح أساس النجاة في عالم الآخرة ، فلا تغرنه الحياة الدنيا بزخارفها ، وانما يقبل على الطاعات اقبال النهم الشره على الطعام دون كلل ولا سأم ، ولا ينخدع بعلمه وثقافته ومعرفته ، اذ أن العلم ما هو الا وسيلة للعمل ولخشية الله ونفع الناس : « انما يخشى الله من عباده العلماء[4] » ولا يعرف الاسلام ميزانا للتفاضل بين الناس في

---

(١) ـ رواه النسائي وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن ابي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ـ اي جمعت له الصحة والقوة ووفرة المال ، ولم يرحل الى مشاهدة اماكني المقدسة ، المجاب فيها الدعاء ، المشمولة برحمتي ، الجالبة الحسنات الجمة، المحبطة السيئات (حاشية الترغيب والترهيب : ٢/٢١٢) .

(٣) ـ رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي . ومعنى كونه محروما : اي محروم من الاجر ومطرود من رضوان الله .

(٤) ـ الآية ٢٨ من سورة فاطر .

الدنيا والآخرة سوى العمل والخلق الفاضل : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم[1] » . ولم تتقدم الامم الا بالعمل النابع من العلم الصحيح . وليس في الاسلام ازدواجية في شخصية العالم ، يعلم ولا يعمل ، فهذا اعظم المنكر : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ ! كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون[2] » .

قال الزهري : لا يوثق الناس بعلم عالم لا يعمل ، ولا يرضى بقول عالم لا يرضى[3] .

وقد دأب سعيد على الاعمال الصالحة طيلة حياته دون ان يعرف غير الطاعة والعلم والعمل في مرضاة الله ، قال: « ماأظلني بيت بالمدينة بعد منزلي ، الا أني آتي ابنة لي ، فأسلم عليها أحيانا[4] » وأدل دليل على ذلك ماعرفناه عنه : ملازمة للمساجد ، ومحافظة على صلاة الجماعة خمسين سنة ، وقيام بالليل وصلاة للصبح والعشاء بوضوء واحد خمسين سنة ، وصوم للدهر ، وحجه اربعين حجة . فمن ذا يقاربه او يلحق به ؟ !

ومن هنا قالوا في حقه : « جمع بين الحديث والتفسير والفقه والورع والعبادة[5] » « صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة[6] » .

---

(١) ـ الآية ١٣ من سورة الحجرات .
(٢) ـ الآيتان ٢ و ٣ من سورة الصف .
(٣) ـ حلية الاولياء : ٣/٣٦٦ .
(٤) ـ طبقات ابن سعد : ٥/١٣١ .
(٥) ـ شذرات الذهب : ١/١٠٣ .
(٦) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦١ .

٣ ـ دعـاؤه :

«الدعاء هو العبادة[١]» و «من لم يسأل الله يغضب عليه[٢]»
والله تعالى يقول في محكم تنزيله : « واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعانِ[٣] » .

لهذا كان ابن المسيِّب يكثر من الدعاء . وكان يكثر أن يقول في مجلسه : « اللهم سلم سلم[٤] » . وهذا يوحي بكثرة الفتن من حوله في الدنيا ، وتخوفه من عذاب الله في الآخـرة وقال مرة : « دخلت المسجد في ليلة أضحيان[٥] ، قال : وأظن اني قد أصبحت ، فاذا الليل على حاله ، فقمت أصلي ، فجلست أدعو ، فاذا هاتف يهتف من خلفي : يا عبد الله ، قل : قلت: ماأقول: قال : قل : أللهم اني أسألك بأنك مالك الملك ، وأنك على كـل شيء قدير ، وما تشاء من أمر يكن » قال سعيد : فما دعوت بها قط بشيء الا رأيت نجحه[٦] » .

وكان يدعو على أعداء الاسلام ، لا على من ظلمه ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من دعا على من ظلمه فقد انتصر[٧] »

---

(١) ـ حديث عن النعمان بن بشير رواه احمد في مسنده وابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد واصحاب السنن الاربعة وابن حبان والحاكم .
(٢) ـ حديث آخر اخرجه الترمذي عن ابي هريرة .
(٣) ـ الآية ١٨٦ من سورة البقرة .
(٤) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦٤ .
(٥) ـ يوم اضحيان : لاغيم فيه ، وليلة اضحيانة : مضيئة
(٦) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦٩ .
(٧) ـ اخرجه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها .

قيل لسعيد بن المسيِّب : ادع على بني امية ، فقال : اللهم أعزدينك، وأظهر أولياءك ، وأخز أعداءك في عافية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال علي بن زيد : قلت لسعيد بن المسيِّب : يزعم قومك أن ما منعك من الحج أنك جعلت لله عليك اذا رأيت الكعبة أن تدعو الله على بني مروان . قال : ما فعلت وما أصلي صلاة الا دعوت الله عليهم، واني قد حججت واعتمرت بضعا وعشرين سنة[2]، وانما كتبت علي حجة واحدة وعمرة ، واني أرى ناسا من قومك يستدينون فيحجون ويعتمرون ، ثم يموتون ، ولا يقضى عنهم ، ولجمعة أحب الي من حج او عمرة تطوعا . قال علي بن زيد : فأخبرت بذلك الحسن ـ أي البصري ـ فقال : ما قال شيئا ، لو كان كما قال ما حج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اعتمروا[3] .

والحقيقة أن نقد الحسن البصري له في غير محله ، اذ لايشرع الحج لافرضا ولا تطوعا الا اذا كان الحاج مستطيعا موسرا مالكا الزاد والراحلة . ولا تجوز الاستدانة ، ثم يأتي الموت ولا وفاء ،

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٨/٥ .

(٢) ـ لا تعارض بين هذا وبين ماذكرناه عنه سابقا انه حج اربعين حجة ، لان هذا كان وقت حدوث الحادثة المذكورة ، واحصاء الاربعين حجة في وقت متأخر ختم بها حياته .

(٣) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٨/٥ .

كما قال سعيد ، فمن المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الصلاة على صحابي عليه دين : ديناران ، وقال : صلوا على صاحبكم . قال ابو قتادة : هما علي يا رسول الله ، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم . وقال : الآن بردت جلدته . أو فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك[1] . وقال عليه السلام بالنسبة للشهداء : « يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين[2] » .

وحينئذ تكون صلاة الجمعة الفريضة حالة الدين أحب من الحج تطوعا كما لاحظ سعيد وأراد من كلامه في مثل هذا الشأن.

وكان باخلاصه وصفائه وصدقه مجاب الدعوة : قال علي ابن زيد ــ وكان مكفوف البصر ــ قال لي سعيد بن المسيِّب : قل لقائدك ــ أي من يقوده في الطريق ــ يقوم ، فينظر الى وجه هذا الرجل ، والى جسده ، فانطلق فنظر ، فاذا رجل اسود الوجه ، فجاء ، فقال : رأيت وجه زنجي ، وجسده أبيض ، فقال : ان هذا سب هؤلاء الرهط : طلحة والزبير وعليا ، فنهيته ، فأبى ، فدعوت عليه ، فقلت : ان كنت كاذبا ، فسود الله وجهك ، فخرجت بوجهه قرحة ، فاسود وجهه[3] .

---

(١) ــ اخرجه البخاري واحمد والنسائي وابن حبان عن سلمة بن الاكوع ، وروى احمد واصحاب السنن الا ابا داود هذه القصة من حديث ابي قتادة .

(٢) ــ رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٣) ــ طبقات ابن سعد : ٥/١٣٦ .

٤ ـ زهده وورعه : (العالم من خشي الله ، وخشية الله الورع) :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ازهد[١] في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس[٢] » وقال عليه السلام أيضا : « قد افلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنّعه الله بما آتاه[٣] » « فضل العلم خير من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع[٤] » « القناعة مال لا يفنى[٥] » . وقال يحيى ابن ابي كثير : « العالم من خشي الله ، وخشية الله الورع[٦] » .

من هذه التوصيات والعظات النبوية والحكم البالغة كان ابن المسيِّب زاهدا ورعا قانعا عفيفا . وقال عنه المؤرخون : « صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة ، وكان كاسمه بالطاعات سعيدا ، ومن المعاصي والجهالات بعيدا[٧] » « كان سعيد بن المسيِّب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد

---

(١) ـ الزهد : هو الاعراض عن الشيء لاستصغاره وارتفاع الهمة عنه لاحتقاره، ويرشد اليه قوله تعالى : « قل : متاع الدنيا قليل ، والاخرة خير لمن اتقى » .

(٢) ـ حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة عن سهل بن سعد الساعدي .

(٣) ـ رواه مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٤) ـ رواه الطبراني في الاوسط ، والبزار باسناد حسن عن حذيفة بن اليمان .

(٥) ـ رواه الطبراني والعسكري عن جابر ، وكذا القضاعي عن انس ، وهو حديث ضعيف .

(٦) ـ اخلاق العلماء للاجري : ص ٨١ .

(٧) ـ حلية الاولياء : ١٦١/٢ .

الناس في فصول الدنيا ، والكلام فيما لا يعني[1] » ويظهر ذلك مما يأتـــي :

طعامه وتقشفه :

أما طعامه فكان بسيطا مما يدل على علو نفس وتقشف في الحياة • كان طعام افطاره من الصيام : الخبز والزيت[2] • وكان اذا غابت الشمس أتي بشراب له من منزله الى المسجد، فيشربه[3] • أي أنــه يعمل بالسنة ، فيفطر في المسجد النبوي على شـــيء قليل : ماء او تمرات ثلاث ، ثم يصلي المغرب ، ثم يعــود الـــى منزله لاتمام فطوره •

وفي أثناء حبسه في السجن قصة أخرى مثيرة • قال أبـــو أمية مولى بني مخزوم : صنعت ابنة سعيد بن المسيِّب طعاما كثيرا حين حبس ، فبعثت به اليه ، فلما جاءه الطعام دعاني سعيد ، فقال : اذهب الى ابنتي فقل لها : لا تعودي لمثل هذا أبدا ، فهذه حاجة هشام بن اسماعيل (امير المدينة) ، يريد ان يذهب مالي فأحتاج الى ما في أيديهم ، وأنا لا ادري ما أحبس ، فانظري الى القـــوت الذي كنت آكل في بيتي فابعثي الي به • فكانت تبعث اليـــه بذلك • وهذا يدل على مبلغ صبره وتحمله المشاق وفطنته ونظرته

---

(١) ـ البداية والنهاية : ٩/١٠٠ .

(٢) ـ وفيات الاعيان : ٢/٣٧٦ .

(٣) ـ طبقات ابن سعد : ٥/١٣٣ .

البعيدة الى المستقبل ، وأنه على العالم ان لا يذل لأرباب الدنيا ورجال الحكم .

وتمتد نظرته بنحو أعمق الى الحياة الدنيوية نفسها ، فيراها فانية ، وأنها متاع الغرور ، فيترفع عن زخارفها ، وتعلو نفسه عن مباهجها ومفاتنها ، ومن أولاها فتنة الطعام والشراب . قال يحيى بن سعيد : دخلنا على سعيد نعوده ، ومعنا نافع بن جبير ، فقالت أم ولده[1] : انه لم يأكل منذ ثلاث ، فكلموه ، فقال نافع ابن جبير : انك من أهل الدنيا ما دمت فيها ، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم ، فلو أكلت شيئا ، قال : كيف يأكل من كان على مثل حالنا هذه ؟ بضعة يذهب بها الى النار او الى الجنة . فقال نافع : ادع الله أن يشفيك ، فان الشيطان قد كان يغبطه مكانك من المسجد . قال : بل أخرجني الله تعالى من بينكم سالما[2] .

حرصه على آثار بيت النبوة :

ونظرته المتقشفة الزاهدة الى الحياة ليست قاصرة على نفسه ، وانما يريد وضعها مبدأ دائما للناس ، عن طريق ربطهم بآثار البيت النبوي في البناء والبساطة وعدم التفاخر والتكاثر في الدنيا ، ويتضح هذا من القصة التالية :

حينما أصدر الوليد بن عبد الملك امرا بادخال بيوت ازواج

---

(١) ــ ام الولد : هي الامة التي يتسرى بها سيدها فتحمل او تلد ، فتصبح ام ولد لا يجوز بيعها .

(٢) ــ حلية الاولياء : ٢/١٦٥ .

النبـي صلـى الله عليـه وسـلم في مسجـد رسول الله ، وأرسل كتابا لواليه على المدينة بتنفيذ ذلك ، قال سعيد :

والله لوددت أنهم تركوها على حالها ، ينشأ ناشيء من أهل المدينة ، ويقدم القادم من الافق ، فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها ــ يعني الدنيا ــ .

وقد وصف عمران بن أبي أنس كيفية هذه البيوت ، فقال : كان منها أربعة أبيات بلبن ، لها حجر[1] من جريد النخل ، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها ، على أبوابها مسوح[2] الشعر ، ذَرَعْتُ السِتْر ــ أي ماتستر به ــ فوجدته ثلاث أذرع[3] في ذراع . وقال سعيد بن المسيِّب يوم ادخالها في المسجد : ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ، ويروا مارضي الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده[4] .

من اقواله الخالدة في الزهد وتقييم الدنيا :

قال سعيد رحمه الله : من استغنى بالله افتقر اليه الناس[5].

---

(١) ــ الحجر جمع حجرة : وهي الناحية او الغرفة . وحجرتا العسكر : جانباه من الميمنة والميسرة .

(٢) ــ المسوح : جمع مسح : وهو الكساء من الشعر .

(٣) ــ الذراع : مؤنثة .

(٤) ــ حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي ، طبع دار القلم بدمشق : ٣/٤٠١ ــ ٤٠٢ .

(٥) ــ حلية الاولياء : ٢/١٧٠ ، البداية والنهاية : ٩/١٠٠ .

وقال أيضا : ان الدنيا نذلة ، وهي الى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها ، ووضعها في غير سبيلها[1] .

وقال فيما يتعلق بالذرية والاولاد : قلة العيال أحد اليسارين[2] .

تخوفه من النساء :

يشتد به الورع والخوف من الله الى سد كل المنافذ التي تؤدي به الى المعصية والفسق ، ومن أخطرها : النساء . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما تركت بعدي في الناس فتنة اضر على الرجال من النساء[3] » .

وقال سعيد نفسه : قد بلغت ثمانين سنة ، وما شيء أخوف عندي من النساء . وكان بصره قد ذهب . وفي رواية : وقد ذهبت احدى عينيه ، وهو يعشو بالاخرى .

وقال أيضا : ما أيس الشيطان من شيء الا أتاه من قبل النساء[4] .

---

(۱) ـ صفة الصفوة : ٤٥/٢ ، حلية الاولياء : ١٧٣/٢ .
(٢) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٦/٥ .
(٣) ـ اخرجه مسلم في صحيحه عن اسامة بن زيد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما .
(٤) ـ حلية الاولياء : ١٦٦/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٣٦/٥ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .

ومما تقدم يظهر أن ابن المسيِّب كان أورع أهل طبقته ، وأزهـد الناس في الدنيا ، بعيدا عن الكلام فيما لا يعني •

٥ ـ تواضعـه :

ان من أهم مقاصد الدين والخلق تقويم شـذوذ النفس البشرية ، والحد من أهوائها وغطرستها واستعلائها في الارض • وقد تعاضدت السنة والقرآن الكريم وأقاويل الحكماء على ذم العجب والكبر مما هو معروف ، مثل قوله تعالى : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق[١] » وقوله : « انه لا يحب المستكبرين[٢] » ومن وصايا لقمان الحكيـم لابنه : « ولاتصعِّر خدك للناس، ولاتمش في الأرض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور[٣] » « ولا تمش في الارض مرحا ، انك لن تخرق الارض ، ولن تبلغ الجبال طولا[٤] » •

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر[٥] « يحشـر الجبـارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر ، تطؤهم الناس لهوانهم

---

(١) ـ الآية ١٤٦ من سورة الاعراف •
(٢) ـ الآية ٢٣ من سورة النحل •
(٣) ـ الآية ١٨ من سورة لقمان •
(٤) ـ الآية ٣٧ من سورة الاسراء •
(٥) ـ اخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه •

على الله تعالى[١] » « من تواضع لاخيه المسلم رفعه الله ، ومن ارتفع عليه وضعه الله[٢] » .

لهذا قال العلماء : ان العلاج العملي للكبر هو التواضع بالفعل لله تعالى ولعباده ، وذلك بالمواظبة على استعمال خلق المتواضعين[٣] .

وقد التزم سعيد أحكام الاسلام التعبدية والخلقية ، ونفذها تنفيذا عمليا ، فكان متواضعا لله وللناس ،.عملا بالسنة النبوية وتأسيا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشوقا الى قربه في الجنان : « ان من أحبكم الي ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ..[٤] » .

ويؤكد هذا الالتزام الفعلي للتواضع قول سعيد نفسه : يد الله فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها رفعه الله . الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم ، فاذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته[٥] .

وعن عمران بن عبد الله قال : « أرى نفس سعيد بن المسيّب

---

(١) ـ رواه البزار من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، واسناده حسن .
(٢) ـ رواه الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة .
(٣) ـ احياء علوم الدين : ٣/٣٠٧ ، مختصر منهاج القاصدين : ص ٢٥٥ .
(٤) ـ رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن غريب ، ورواه احمد والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه ، ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابي ثعلبة.
(٥) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦٦ .

كانت أهون عليه في الله من نفس ذباب[1] » •

وقال سعيد بن عبد العزيز : «لما احتضر عبد الملك بن مروان، أمر بفتح الابواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصارا[2] بالوادي، فقال : ماهذا ؟ قالوا : قصار ، فقال : ياليتني كنت قصارا أعيش من عمل يدي • فلما بلغ سعيد بن المسيِّب قوله : قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون الينا ولا نفر اليهم[3] » وقال سعيد أيضا : لما حضره ـ أي عبد الملك ـ الموت ، جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ، ويقول : وددت أني اكتسبت قوتا يوما بيوم ، واشتغلت بعبادة ربي عز وجل[4] » •

وهذه كلمات تهز العروش ، وتزلزل العظمات ، وتــردع الحكام ، وتذكر كل كبير او سلطان او جبار أنه سيندم حينما يشعر بآثار المسئولية ، ويحس بأعبائها الضخمة ، ويتمنى الفرار من سؤال الله عن قيامه بالواجبات وأدائه الحقوق العامة والخاصة• قال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني كما قال الله تعالى : « ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم[5] » •

---

(١) ـ تاريخ الذهبي : ٦/٤ •
(٢) ـ القصار : محور الثياب ومبيضها •
(٣) ـ البداية والنهاية : ٦٨/٩ •
(٤) ـ المرجع السابق •
(٥) ـ المرجع السابع . والآية هي ٩٤ من سورة الانعام •

٦ ـ سماحة نفسه :

قال عمران بن عبد الله الخزاعي : كان سعيد بن المسيِّب لايخاصم أحدا ، ولو أراد انسان رداءه ، رمى به اليه[١] •

٧ ـ اباؤه وعزة نفسه وتعففه عن اخذ شيء من احد :

لا شيء يذل النفس ، ويهدر الحياء ، ويجعل الانسان مطية لغيره مثل أخذ شيء من الناس ،وتعظم هذه الدنايا بقبول عطايا الحكام ، لأنهم بذلك يشترون الضمائر والوجدانات ، ويخرسون الالسن ، ويسكتون صوت الحق في حناجر الشعوب • وتتفاقم خطورة الامر بالنسبة للعالم الفقيه الذي يعتبر قدوة لغيره ، فاذا أسكت سكت الحق ، واذا رضي بالمنكر ضل الناس ، وكان هو شيطانا اخرس ، لأن « الساكت عن الحق شيطان اخرس » •

وقد أدرك سعيد بفطنته ووعيه وتدينه وعلمه مخاطر كل ذلك ، فكان متعففا غاية التعفف عن أن يقبل من أحد شيئا • قال عمران بن عبد الله : « كان سعيد بن المسيِّب لا يقبل من أحد شيئا ، لادينارا ولادرهما ولا شيئا • قال : وربما عرض عليه الاشربة ، فيعرض ، فليس يشرب من شراب أحد منهم[٢] » •

وقال أحمد العجلي : « كان لا يأخذ العطاء ، وله اربعمائة

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٤/٥ •
(٢) ـ حلية الاولياء : ١٦٧/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٣٥/٥ •

دينار يتجر بها في الزيت[1] » .

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه : « كان سعيد بن المسيِّب يماري غلاما له في ثلثي درهم ، وأتاه ابن عمه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن يأخذها[2] » .

وتأبى نفسه مد يده الى حاكم ، فيزهد حتى في مرتبه وعطائه المخصص له من بيت المال . قال عمران بن عبدالله بن طلحة : دعي سعيد بن المسيِّب الى نيف وثلاثين ألفا ليأخذها ، فقال : لا حاجة لي فيها ، ولا في بني مروان ، حتى ألقى الله ، فيحكم بيني وبينهم[3] .

نفس كبيرة كهذه تتعالى على الملوك لجدير بها ان تحتل مكانة كبرى في نفوس الناس ، يصبح قوله حكما ، ورأيه قانونا متبعا ، وترفعه ونزاهته مثلا أعلى يحتذى ، وفعله وتعففه مضرب المثل ، ومنبع الشهرة واذاعة الصيت ، وحديث المجالس . وهي عزة المؤمن بحق : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون[4] » . قال سعيد : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اعتز بالعبيد

---

(١) ـ شذرات الذهب : ١٠٢/١ .
(٢) ـ حلية الاولياء : ١٦٦/٢ .
(٣) ـ المرجع السابق ، طبقات ابن سعد : ١٢٨/٥ ، وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢
(٤) ـ الآية ٨ من سورة المنافقون .

أذله الله[1] » . وقال عمر لابي عبيدة : ان الله أعزكم بالاسلام ، فمهما طلبتم العز في غيره أذلكم » والمعنى ينبغي ان يكون طلبكم العز بالدين لا بصور الافعال[2] .

قال الاصبهاني في حلية الاولياء[3] : « فأما أبو محمد سعيد ابن المسيِّب بن حزن المخزومي ، فكان من الممتحنين ، امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم ، صاحب عبادة وجماعة ، وعفة وقناعة ، وكان كاسمه بالطاعات سعيداً ، ومن المعاصي والجهالات بعيدا ».

٨ ـ مكسبه المعاشي او مورده الحر :

لقد ثبت في الماضي والحاضر من واقع الوظائف الحكومية ، والارتباط المعاشي بالدول أن كسب المعيشة او الرزق من طريق المهنة الحرة لهو اشرف وافضل ، بل وأثرى واغنى من التكسب بالرواتب المحدودة ، والعطاءات المعدودة ، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تسعة اعشار الرزق في التجارة ، والعشر في المواشي[4] » .

ولقد اطال العلماء في بيان أفضل المكاسب التي أصولها الزراعة والتجارة والصناعة ، فقال النووي : والصواب أن أطيب

---

(١) ـ حلية الاولياء : ١٧٤/٢ .
(٢) ـ صيد الخاطر : ٣٢٧/٢ .
(٣) ـ ١٦١/٢ .
(٤) ـ رواه سعيد بن منصور في سننه عن نعيم بن عبد الرحمن الازدي ، ويحيى بن جابر الطائي مرسلا ، وهو حديث حسن .

المكاسب ما كان بعمل اليد ، وان كان زراعة فهو اطيب المكاسب، لما يشتمل عليه من كونه عمل اليد ، ولما فيه من التوكـل ، ولما فيه من النفع العام للآدمي وللدواب والطير[1] . قال الحافظ ابن حجر : وفوق ذلك ما يكسب من أموال الكفار بالجهاد ، وهـو مكسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أشرف المكاسب ، لمـا فيه من اعلاء كلمة الله تعالى[2] .

ودليل الامام النووي واضح من حديثي النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده[3] » « سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور[4] » . قال شراح الحديث : وتقديم عمل اليد على البيع المبرور دال على أنه الافضل ، ودال على أطيبية التجارة الموصوفة بالبر وهي البيع المبرور : وهو ما خلص عن اليمين الفاجرة، لتنفيق السلعة ، وعن الغش في المعاملة[5] .

قال الماوردي : والاشبه بمذهب الشافعي أن أطيب المكاسب

---

(١) ـ سبل السلام : ٥/٣ .

(٢) ـ المرجع السابق .

(٣) ـ اخرجه البخاري من حديث المقدام مرفوعا .

(٤) ـ رواه البزار وصححه الحاكم ورواه ابن حجر في التلخيص الحبير عـن رافع بن خديج .

(٥) ـ سبل السلام : ٤/٣ .

التجارة . واردف قائلا : والارجح عندي ان أطيبها الزراعة ، لانها أقرب الى التوكل[1] .

ولقد كان سعيد يعتبر التجارة أفضل المكاسب ، وكان تاجرا يتجر في الزيت . وكان أبوه المسيِّب أيضا زياتا يتجر بالزيت[2]. قال عمران بن عبد الله : وكان سعيد بن المسيِّب يكثر الاختلاف الى السوق[3] . وقال احمد بن عبد الله العجلي : كان سعيد رجلا صالحا فقيها ، كان لا يأخذ العطاء ، وله أربعمائة دينار ، يتجر بها في الزيت[4] .

وقال سعيد : « ما من تجارة أحب الي من البز[5] ، ما لم تقع فيه الأيمان[6] » .

٩ ـ رأيه في جمع المال ، والغنى والفقر :

المال محبوب المرء طبعا ، وهو عصب الحياة ، ووسيله العزة والكرامة والستر والصون ، وسد الحاجة وقت النوائب والامراض ، ومعوان على متابعة واجبات الدين وارضاء الله ، وواسطة لتقوية

(١) ـ المرجع السابق : ٥/٣ .
(٢) ـ المعارف لابن قتيبة : ص ٤٣٧ ، ٥٧٧ .
(٣) ـ طبقات ابن سعد : ١٣١/٥ .
(٤) ـ شذرات الذهب : ١٠٢/١ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ ، تهذيب التهذيب ٨٦/٤ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، البداية والنهاية : ١٠١/٩ .
(٥) ـ البز : الثياب من الكتان او القطن . وتاجره يسمى : البزاز : وهو صاحب امتعة البز اي القماش .
(٦) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٤/٥ .

اقتصاد الدولة[1] ، قال تعالى : « وتحبون المال حبا جما[2] » « وانه لحب الخير لشديد[3] » • وقال صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » وقال : « ما نفعني مال كمال أبي بكر[4] » • وفي بعض الآثار : « نعم الدنيا مطية المؤمن » « المال سلاح المؤمن » •

يتبين من ذلك أن المال في حد ذاته ليس مذموما ، وانما هو ممدوح اذا استخدم في الطرق المشروعة ، ومذموم ان استعمل في المعاصي أو لم يؤد حق الله فيه • فالدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى • والغنى ليس ممنوعا في الاسلام ، الا اذا اصبح أداة طغيان وفجور وفسق • والفقر ليس مطلوبا لذاته ، ولكن لأن فيه فقد العائق عن الله تعالى ، وعدم التشاغل عنه[5] •

وقال بعض السلف : من ادعى بغض الدنيا فهو عندي كذاب الى أن يثبت صدقه ، فاذا ثبت صدقه فهو مجنون[6] •

---

(١) ـ انظر كتابنا في مقارنة الاديان (الاصول العامة لوحدة الدين الحق) ص ١٥٤ •

(٢) ـ الآية ٢٠ من سورة الفجر •

(٣) ـ الآية ٨ من سورة العاديات •

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي : ٢١٤/١ ، نقد العلم والعلماء : ص ١٧٢ • والحديث الاول باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص •

(٥) ـ احياء علوم الدين : ١٧٤/٤ ، مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٥٧ ، نقد العلم والعلماء : ص ١٧٢ •

(٦) ـ صيد الخاطر : ٢١٦/١ •

وكان أبو بكر رضي الله عنه يخرج الى التجارة ، ويترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ينهاه عن ذلك . وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : « لأن أموت بين شعبتي جبل أطلب كفاف وجهي ، أحب الي من أن أموت غازيا في سبيل الله » .

وكان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يتجرون . ومن سادات التابعين : سعيد بن المسيِّب ، فمات وخلف مالا ، وكان يدخر الزيت ، وسفيان الثوري كانت له بضائع ، وابن المبارك . ومازال السلف على هذا[1] . قال عليه السلام : « نعم العَوْن على الدّين قوت سنة[2] » .

قال ابن قتيبة في غريب الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم « واليد العليا خير من اليد السفلى[3] » قال : هي ـ أي العليا ـ المعطية . قال : فالعجب عندي من قوم يقولون : هي الآخذة . ولا أرى هؤلاء القوم الاقوما استطابوا السؤال ، فهم يحتجون للدناءة ، فأما الشرائع فإنها بريئة من حالهم[4] . وذلك بدليل بقية الحديث : « واليد العليا : المنفقة ، والسفلى : السائلة » ورواية أخرى « يد المعطي : العليا » .

---

(١) ـ المرجع السابق : ٢١٤/١ .

(٢) ـ رواه الديلمي في مسند الفردوس عن معاوية بن حيدة .

(٣) ـ متفق عليه بين البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ، ورواه الترمذي والنسائي عن حكيم بن حزام .

(٤) ـ صيد الخاطر : ٢١٥/١ .

من هنا قال ابن المسيّب : « لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يعطي منه حقه ، ويكف به وجهه عن الناس » وقال أيضا : « لا خير فيمن لا يحب هذا المال ، يصل به رحمه ، ويؤدي به أماتنه ، ويستغني به عن خلق ربه » وقال يحيى بن سعيد : انه ـ أي سعيد ـ مات وترك ألفين او ثلاثة آلاف دينار . وقال أي سعيد : ما تركتها الا لأصون بها ديني وحسبي[1] . وقد ذكرنا أنه كان له مال يتجر فيه ، ويقول : اللهم انك تعلم أني لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وانما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان ، حتى ألقى الله ، فيحكم في وفيهم ، أصل منه رحمي ، وأؤدي منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه على الارملة والفقير والمسكين واليتيم والجار[2] . وقال فيما ذكرناه في بحث زهده : من استغنى بالله افتقر الناس اليه[3] .

وهذا الكلام هو روح الاسلام ، ولاسيما بالنسبة لعلماء الامة ، وقد أصاب الامام ابن الجوزي في تأكيده على هذا المعنى في مناسبات عدة ، فقال : ليس في الدنيا انفع للعلماء من

(١) ـ راجع حلية الاولياء : ١٧٣/٢ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ ، طبقات ابن سعد : ١٣٦/٥ ، نقد العلم والعلماء : ص ١٧٥ .

(٢) ـ البداية والنهاية : ١٠١/٩ .

(٣) ـ حلية الاولياء ، المكان السابق .

جمع المال ، للاستغناء عن الناس ، فانه اذا ضم الى العلم حيز الكمال ، وان جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب ، فاحتاجوا الى ما لا بد منه ، وقل الصبر ، فدخلوا مداخل شانتهم ، وان تأولوا فيها ، الا أن غيرها كان أحسن لهم[1] . وقال في مكان آخر من كتابه : حضرنا بعض أغدية أرباب الاموال ، فرأيت العلماء أذل الناس عندهم ، فالعلماء يتواضعون لهم ، ويذلون لموضع طمعهم فيهم ، وهم لا يحفلون بهم لما يعلمونه من احتياجهم اليهم[2] .

وبهذا يظهر أن تفضيل أكثر العلماء الفقر على الغنى هو من ناحية المبدأ العام ، أو بالنظر الى ما يسبب كل واحد ، فالفقر غالبا يكون مدعاة للطاعة ، اذ ان حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وبغضها أساس كل طاعة . والغنى غالبا يكون سببا للطغيان والفسق : « ان الانسان ليطغى . أن رآه استغنى[3] » وأما اذا أدى الغني حقوق الله في ماله ، وقام بطاعة ربه ، فهو في الدنيا في رأيي لاشك أفضل من الفقير ، لانه اكثر فائدة للامة ، مثل عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما . قال ابن عطاء :

---

(١) ـ صيد الخاطر : ٢/٢٢٧ وما بعدها ، نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس لابن الجوزي : ص ١٧٥ .

(٢) ـ صيد الخاطر : ٢/٢٩٣ . الا فليقارن هذا الكلام ليرى مدى انطباقه على مشايخ اليوم في موائد الحكام وذوي الغنى والجاه ؟ !

(٣) ـ الآيتان ٦ و ٧ من سورة العلق .

« الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر[1] » واكثر العلماء على ان الغني المنفق ماله في الخير أفضل أي في الآخرة من الفقير الحريص . فان كان الغني متمتعا بالمال في المباحات ، فالفقير القنوع أفضل منه . وان كان الغني حريصا على ماله ممسكا له ، فالفقير القانع أفضل منه[2]. ودليل تفضيل الفقر اجمالا آيات وأحاديث مثل : « للفقراء الذين احصروا في سبيل الله[3] » « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم[4] » . ومن الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام[5] » .

١٠ ـ كيفية اختياره الزوج الصالح لابنته :

لقد ربى الاسلام ابن المسيّب وأمثاله من الصحابة والتابعين على الزهد في الدنيا ، والاهتمام بالباقي الخالد ، والنفور من المناصب المزخرفة ، والسلطة المزيفة الفانية . فتجده يأبى تزويج ابنته لابن خليفة ، ويسارع الى تزويجها من طالب علم فقير على درهمين . وسنذكر هذه القصة العجيبة ، ونستطرد الى ذكر قصة اخرى

---

(١) ـ احياء علوم الدين : ١٧٣/٤ .

(٢) ـ المرجع السابق : ١٧٤/٤ ، مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٥٧ .

(٣) ـ الآية ٢٧٣ من سورة البقرة .

(٤) ـ الآية ٨ من سورة الحشر .

(٥) ـ رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وقال : حديث صحيح .

مشابهة ، حتى يتبين لنا أن ما فعله ابن المسيِّب ليس أمرا مستحيلا، او فريد المثال ، وانما يمكن محاكاته عند ذوي النفوس الصافية ، والايمان الراسخ ، والعقيدة الصلبة التي لا تتزعزع أمام الرياح الهوج ، أو الاعاصير العاتية وان لحق بها الاذى ، وتعرضت للضرب والحبس .

قصة زواج ابنة سعيد بن المسيِّب :

قال ابراهيم بن عبد الله الكتاني : ان سعيد بن المسيِّب زوج ابنته بدرهمين[1] .

وقال ابن كثير : وقد زوج سعيد بن المسيِّب ابنته على درهمين لكثيِّر بن أبي وداعة—وكانت من أحسن النساء، واكثرهم أدبا ، وأعلمهم بكتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج — وكان فقيرا ، فأرسل اليه بخمسة آلاف. وقيل : بعشرين ألفا ، وقال : استنفق هذه . وقصته في ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك بن مروان خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد ان يزوجه بها ، فاحتال عليه ، حتى ضربه بالسياط[2] .

---

(١) ـ حلية الاولياء : ١٦٧/٢ .

(٢) ـ البداية والنهاية : ١٠٠/٩ .

كيف حدثت القصة ؟[1] •

قال ابن أبي وداعة : كنت أجالس سعيد بن المسيِّب ، ففقدني أياما ، فلما جئته ، قال : أين كنت ؟ قال : توفيت أهلي ، فاشتغلت بها : ففال : الا أخبرتنا ، فشهدناها ، قال : ثم أردت ان أقوم ، فقال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله ، ومن يزوجني ، وما أملك الا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : أنا ، فقلت : او تفعل ؟ قال : نعم • ثم حمد الله تعالى ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجني على درهمين ، أو قال : ثلاثة •

قال : فقمت ، وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت الى منزلي ، وجعلت اتفكر ممن آخذ ، وممن أستدين ، فصليت المغرب، وانصرفت الى منزلي ، واسترحت ، وكنت وحدي صائما ، فقدمت عشائي أفطر ، وكان خبزا وزيتا ، فاذا بآت يقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد ، قال : فأفكرت[2] في كل انسان اسمه سعيد ، الا سعيد بن المسيِّب ، فانه لم يُر أربعين سنة ، الا بين بيته والمسجد • فقمت ، فخرجت ، فاذا سعيد بن المسيِّب ، فظننت أنه قد بدا له[3] ، فقلت : يا أبا محمد ، ألا ارسلت الي ، فآتيك؟!

---

(١) ـ راجع القصة في حلية الاولياء : ١٦٧/٢ وما بعدها ، طبقات ابن سعد : ١٣٨/٥ ، وفيات الاعيان : ٣٧٦/٢ وما بعدها ، شذرات الذهب : ١٠٣/١ • واقرأ القصة بقلم الاديب الالمعي البليغ : مصطفى صادق الرافعي في كتابه (وحي القلم ج١).

(٢) ـ افكر في الشيء ، وفكر فيه وتفكر فيه بمعنى واحد أي تأمل •

(٣) ـ اي ربما فكر في العدول عن الزواج •

قال : لأنت أحق أن تؤتى • قال : قلت : فما تأمر ، قال : انك كنت رجلا عزبا ، فتزوجت ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فاذا هي قائمة من خلفه في طوله • ثم أخذهـا بيدها ، فدفعها بالباب ، ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحيـاء فاستوثقت من الباب ، ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز ، فوضعتها في ظل السراج ، لكيلا تراه ، ثم صعدت الـى السطح ، فرميت الجيران ، فجاءوني ، فقالوا : ماشأنك ؟ قلت : ويحكم ، زوجني سعيد بن المسيّب ابنته اليوم ، وقد جاء بها على غفلة ، فقالوا : سعيد بن المسيّب زوجك ؟! قلت : نعم ! وها هي في الدار ، قال : فنزلوا هم اليها ، وبلغ أمي ، فجاءت وقـالت : وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام • قال : فأقمت ثلاثة أيام ، ثم دخلت بها ، فاذا هـي من أجمـل الناس ، واذا هي احفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج • قال : فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه ، فلما كان قرب الشهر ، أتيت سعيدا ، وهو في حلقته ، فسلمت عليه ، فرد علي السلام ، ولم يكلمني حتى تقوض[1] أهل المجلس • فلما لم يبق غيري ، قال : ما حـال ذلك الانسان ، قلت : خيرا يا أبا محمد ، على ما يحب الصديق ، ويكره العدو • قال : ان رابك شيء فالعصا ، فانصرفت الـى منزلي ، فوجه الي بعشرين ألف درهم •

---

(١) ـ تقوضت الحلق والصفوف : انتقضت وتفرقت •

قال عبد الله بن سليمان : وكانت بنت سعيد بن المسيِّب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد ، فأبى سعيد ان يزوجه • فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد ، حتى ضربه مائة سوط ، في يوم بارد ، وصب عليه جرة ماء ، وألبسه جبة صوف •

قال عبد الله : وابن أبي وداعة هذا : هو كُثَيِّر بن المطلب بن أبي وَدَاعَة •

أي عزيمة شديدة كهذه ، وأي رجل يفعل مثله ، ألا يتنافس الناس عادة لتزويج ذوي المناصب العالية ، والرتب الرفيعة ، واي منصب ؟ خليفة وابن خليفة ، منّاه ان قبل ، وهدده ان أبى ، ولكنه أبى وزوجها لطالب العلم الفقير ؟

انه الايمان الذي لا يتزعزع ، وصلابة الدين الذي لا يقهر، وتربية الاسلام التي لا تتجزأ ولا تتنصف ، فرضي الله عنه ، وأعزه في الخالدين الى يوم الدين •

وهناك قصة مشابهة لهذه القصة يتبين لنا منها أصالة المنطلق الذي نركز عليه ، وهو الاسلام أولا وآخرا • وهي قصة أبي الفوارس شاه شجاع الكرماني : فانه لما زاد في الملك زهد في الملك ، ودخل في طريق القوم : خطب ابنته بعض الملوك ، فلم يزوجها منه ، وطاف في المساجد ، فوجد فقيرا يحسن صلاته ، فقال له : ألك زوجة ؟ قال : لا ، قال : فهل لك في زوجة جميلة ،

تقرأ القرآن فقال : أنا رجل فقير ، ما يزوجني أحد ، قال : أما تقدر على درهمين ؟ قال : بلى . قال : فاشتر بدرهم خبزا ، وبدرهم طيبا ، فقد تم الامر . ففعل ذلك ، فزوجه بابنته ، فلما دخلت ابنته بيت الفقير المذكور ، رأت قرصا[1] في البيت ، رجعت على ورائها ، فسألها عن رجوعها ، فذكرت كلاما معناه : انـــى لا أرضى أبيت على معلوم ، فاما أخرجه ، والا خرجت . فلمـــا أخرج الرغيف ، فطابت نفسها ، فاستقرت عنده[2] .

(١) ـ القرص والقرصة : من الخبز .

(٢) ـ مرآة الجنان : ١٨٧/١ .



الفصل الثالث

نشاطه وحركته العلمية وتقدير العلماء له

ان المقومات الشخصية العالية التي عرفناها في الفصل السابق انتجت أفضل الثمار واصلبها ، وحققت أعظم الآثار وأخلدها ، فكان سعيد دائم الحركة والنشاط في سبيل الله ، لا يدع لحظة من الوقت تمر من دون مشاركة بناءة في نصرة دين الله والحق ، واعلاء مجد الامة ، وانتهال العلم ونشر التعليم ، مما بوأه مكانة رفيعة في عصره ، وأحله منزلة عالية في نفوس الناس جميعا ، حتى عرفه القاصي والداني ، وتحدث عنه الركبان ، وسجل صفحة خالدة في تاريخ الاسلام ، فقيل عنه : « مناقبه ومآثره تفوت الحصر ، وقد صنف فيها ، كان من سادات التابعين فقها وورعا وعبادة وفضلا ، وزهادة وعلما[1] » • ويتبين لنا نشاطه وعلمه ومنزلته مما يأتي :

(1) ـ مشاهير علماء الامصار : ص ٦٣ •

١ ـ طلبه العلم :

عاش سعيد كما عرفنا في بيئة علمية مزدهرة في المدينة المنورة ، فاغترف منها حتى روي ، من طريق الصحب الكرام ، يدفعه لذلك نهم علمي ، وتحفز نفسي ، وحرص على الفائدة ، ويساعده حافظة قوية ، وصفاء نفس ، وتفرغ كامل ، وشباب طامح .

حدث الامام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيّب انه قال : كنت أرحل الايام والليالي في طلب الحديث الواحد[1] . وروى الزهري عن سعيد قال : « ان كنت لاسير ثلاثا في الحديث الواحد[2] » .

٢ ـ حافظته القوية :

لقد وهب ابن المسيّب ذكاء حادا ، ونباهة عالية ، وذاكرة مدهشة عجيبة ، قال عمران بن عبد الله الخزاعي : والله ما أراه مَرَّ على أذنه شيء قط الا وعاه قلبه ، يعني سعيد بن المسيّب . وقال عمران أيضا : سألني سعيد بن المسيّب ، فانتسبت له ، فقال : لقد جلس أبوك الي في خلافة معاوية ، فسألني عن كذا

---

(١) ـ طبقات الفقهاء : ص ٢٤ ، طبقات ابن سعد : ١٢٠/٥ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ تاريخ الذهبي : ٧/٤ ، تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ .

(٢) ـ تذكرة الحفاظ ، المرجع السابق ، طبقات ابن سعد : ٣٨١/٢ .

وكذا ، فقلت له : كذا وكذا[1] أي أنه يستوعب الاشخاص والأحداث والتواريخ فيصفها وصفا دقيقا ، يأنه يغرف من بحر ، أو لكأن السامع يرى الحادثة من كلامه رأي العين •

ولا شك بأن العالم المتمكن يتطلب مثل هذه الذاكرة الواعية ، سواء في عصرنا الحاضر حيث كثرت الكتب والمؤلفات، أو في الماضي حيث لم يكن التدوين منتشرا ، وانما يعتمد العرب على أذهانهم ، ووعي قلوبهم •

لهذا قيل في سعيد : « وكان سعيد جامعا ، ثقة ، كثير الحديث ، ثَبْتا ، فقيها ، مفتيا ، مأمونا ، ورعا ، عاليا ، رفيعا[2] » « هو السيد المجمع على جلالته وديانته وامامته الذي سما كل سيد تابعي بعد السيد العارف بالله أويس القرني[3] » •

٣ ـ مجالسه العلمية ومواعظه :

كان لسعيد حلقة علمية دائمة في المسجد النبوي ، يتدارس العلم ويدرسه ، وينشر معارفه وعلومه في التفسير والحديث ، ويجتهد في القضايا المتجددة ، ويعبر الرؤيا للناس ، ويذكّر ويحذر ، ويخوف من عذاب الله ، ويرهب من مخالفة أحكام الشريعة ، ويزود الناس بالوصايا والحكم البليغة •

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٢/٥ •

(٢) ـ المرجع السابق : ١٤٣/٥ •

(٣) ـ وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ ، مرآة الجنان : ١٨٦/١ ، شذرات الذهب ١٠٢/١ •

قال عاصم بن العباس الاسدي : كان سعيد بن المسيّب يذكر ويخوف[1] . وقال عاصم أيضا : « كان سعيد بن المسيّب يحب أن يسمع الشعر ، ولا ينشده[2] » . وعن غنيمة ـ جاريته ـ قالت : كان سعيد لا يأذن لابنته في اللعب ببنات العاج[3] ، وكان يرخص لها في الكَبَر ـ يعني الطبل[4] » .

وكان يأتيه الناس من كل مكان يسألونه عن اقضية الرسول عليه السلام والصحابة : أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية . قال متحدثا بنعمة الله عليه : ما بقي احد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر وعمرمني . قال مِسْعَر : وأحسبه قال : وعثمان ومعاوية[5] .

وكان يفتي الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء[6] . وكان ابن عمر اذا سئل عن الشيء يشكل عليه ، قال : سلوا سعيد بن المسيِّب فانه قد جالس الصالحين . وقال عنه

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٣/٥ .

(٢) ـ المرجع السابق .

(٣) ـ بنات العاج : الدمى الصغيرة .

(٤) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٤/٥ .

(٥) ـ طبقات ابن سعد : ٣٧٩/٢ ، ١٢٠/٥ ، طبقات الفقهاء : ص ٢٤ ، تاريخ الذهبي : ٧/٤ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ ـ ٥٥ ، تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ .

(٦) ـ طبقات ابن سعد : ٣٧٩/٢ ، ١٤١/٥ . نقل ذلك قدامة بن موسى الجمحي .

أيضا : ألم أخبركم أنه أحد العلماء . ولو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرّه ، هو والله أحد المفتين[1] . ولقد كان مهيبا وقورا يتهيبه الناس حين سؤاله . قال ابن حرملة : ما كان انسان يجترىء على سعيد بن المسيّب يسأله عن شيء ، حتى يستأذنه كما يستأذن الامير .

قال الزهري : وكان لسعيد بن المسيّب عند الناس قدر كبير عظيم ، لخصال ورَع يابس ، ونزاهة ، وكلام بحق عند السلطان وغيرهم ، ومجانبة السلطان ، وعلم لا يشاكله علم أحد ، ورأي بعدُ صَليب ، ونعم العون الرأي الجيد ، وكان ذلك عند سعيد ابن المسيّب ، رحمه الله من رجل فيه عزة لا تكاد تراجع الا الى مَحَك ، ما استطعت ان أواجهه بمسألة حتى أقول : قال فلان كذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فيجيب حينئذ[2] .

وأضاف الزهري يروي لنا الكثير من مجالس سعيد العلمية، فقال[3] :

« وكنا نجالس ابن المسيّب ، لا نسأله حتى يأتي انسان فيسأله ، فيهيجه ذلك ، فيحدث او يبتدىء هو فيحدث » .

---

(١) ـ طبقات ابن سعد ، الموضع السابق ، طبقات الفقهاء : ٢٤ ، وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ ، مرآة الجنان : ١٨٥/١ ، تهذيب التهذيب : ٨٤/٤ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ .

(٢) ـ طبقات ابن سعد : ٣٨٣/٢ .

(٣) ـ طبقات ابن سعد : ٣٨٢/٢ وما بعدها .

« كنت أجالس عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العزري ، أتعلم منه نسب قومي ، فأتاه رجل جاهل يسأله عن المطلقة واحدة، ثنتين، ثم تزوجها رجل ودخل بها ، ثم طلقها ، على كم ترجع الى زوجها الاول ؟ قال : لا أدري . اذهب الى ذلك الرجل ـ واشار الى سعيد بن المسيِّب ـ قال : فقلت في نفسي : هذا أقدم من سعيد بدهر .. فقمت فاتبعت السائل ، حتى سأل سعيد بن المسيِّب ، فلزمت سعيدا ، فكان هو الغالب على المدينة والمستفتى » .

« جالسته عشر سنين كيوم واحد » .

قال مكحول : لما مات سعيد بن المسيِّب استوى الناس . ما كان احد يأنف ان يأتي الى حلقة سعيد بن المسيِّب ، ولقد رأيت فيها مجاهدا وهو يقول : لا يزال الناس بخير ما بقي بين أظهرهم[1] .

وهكذا كانت مجالس سعيد العلمية بحرا يتدفق بالعلم والنور والمعرفة والموعظة الحسنة ، والفقه ، ولقد اهتم بالفقه كثيرا، حتى سمي : **فقيه الفقهاء** .

فما اعظم هذه المنزلة : منزلة التعلم والتعليم ، فبالتعلم خير المرء في الدنيا والآخرة ، وبالتعليم تعميم الخير والنفع للناس جميعا . قال النبي صلى الله وسلم : « وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الانبياء ، ان الانبياء

---

(١) ـ المرجع السابق : ٣٨١/٢ وما بعدها .

لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن اخذه اخذ بحظ وافر[1]» «خيركم من تعلم القرآن وعلمه[2]» «يا أيها الناس انما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وانما يخشى الله من عباده العلماء »[3] • لهذا كانت طاعة العلماء واجبه بنص القرآن ، وهي أفرض على الناس من طاعة الامهات والآباء بنص الكتاب ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم[4] » وأولو الامر : هم العلماء ، وطاعة الامراء تبع لطاعة العلماء[5] •

٤ ـ صلابته في الحق وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

كان سعيد كما رأينا : عزيز النفس ، أبيا ، صريحا ، صلبا في الحق ومجادلة أهل الباطل ، لا يتردد في الجهر برأيه ، ولا يسكت عما يراه منكرا ، سواء بالنسبة لعامة الناس ، أم بالنسبة للحكام والامراء • قال ابن الجوزي عنه : « وقد كان سعيد بن المسيِّب

---

(١) ـ رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي من حديث ابي الدرداء •

(٢) ـ رواه البخاري والترمذي عن علي ، ورواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه عن عثمان •

(٣) ـ رواه الطبراني في الكبير عن معاوية بن ابي سفيان • وروى البخاري ومسلم وابن ماجه جزءا منه وهو : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » •

(٤) ـ الآية ٥٩ من سورة النساء •

(٥) ـ اعلام الموقعين : ١/٩ ـ ١٠ •

لا يغشى الولاة ، وهذا فعل الحازم »[1] .

وقال سعيد نفسه : « لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة الا بالانكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة » [2] .

ومن صراحته وصلابته ما وصفه لنا الحكم بن ابي اسحاق قال : كنت جالسا الى سعيد بن المسيّب ، فقال لمولى له : اتقِ الله، لاتكذب علي ، كما كذب مولى ابن عباس على ابن عباس، فقلت لمولاه ــ بُرْد ــ : ذاك أني لا أدري ابن الزبير أحب الى أبي محمد (اي ابن المسيِّب) أو أهل الشام ؟! قال : فسمعها سعيد ، فقال : ياعراقي أيهما أحب اليك ؟ قلت : ابن الزبير أحب الي من أهل الشام : قال : أفلا أضبِثُ[3] بك الآن، فأقول : هذا زبيري ؟ فقلت : سألتني فأخبرتك ، فأخبرني أيهما أحب اليك ؟ قال : كلاً لا أحب[4] .

ومن انكاره المنكر واعتباره مصلحا اجتماعيا : ما ذكره عبد الرحمن بن حرملة انه سأل سعيد بن المسيِّب قال : وجدت رجلا سكران ، أفتراه يسعني ألا ارفعه الى السلطان ؟ فقال له سعيد : ان استطعت أن تستره بثوبك فاستره[5] .

ومن المعلوم ان ستر العصاة هو مبدأ اسلامي عام ، قال عليه

(1) ــ صيد الخاطر : ٣٢٧/٢ .
(٢) ــ حلية الاولياء : ١٧١/٢ ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ .
(٣) ــ ضبث بالشي (من باب ضرب) : قبض عليه بكفه .
(٤) ــ طبقات ابن سعد : ١٣٥/٥ ، المعارف لابن قتيبة : ص ٤٣٨ .
(٥) ــ المرجع السابق ١٣٤/٥ ، ١٣٧ .

السلام : « ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة »[1]، وقد ترتب على هذه الحادثة توبة هذا السكران ، فقال : والله لا أعود له ابدا . ويدل لذلك تتمة القصة . قال ابن حرملة : فرجعت الى البيت فاذا الرجل قد أفاق ، فلما رآني عرفت فيه الحياء . فقلت : أما تستحي ؟ لو اخذت البارحة، لحددت[2] فكنت بين الناس مثل الميت ، لا تجوز لك شهادة ، فقال : والله لا أعود له أبدا . قال ابن حرملة : فرأيته قد حسنت حاله بعد .

ولابن المسيِّب كلمة رائعة في هذا المقام ، تبين نسبة صلاح الانسان وتقييمه واخلاقه ، وضرورة الغض عن بعض مساوئه ، قال مالك بن أنس ، قال سعيد بن المسيِّب :

انه ليس من شريف ولا عالم ، ولا ذي فضل الا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، من كان فضله أكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله[3] .

وسنذكر في بحث موقفه من الحكام وقائع أخرى تبين مدى تمسكه بشرع الله ، وانكاره المنكر على الامراء والحكام .

٥ ـ شيوخه : (راوية عمر ، وابي هريرة) :

أخذ سعيد بن المسيِّب العلم عن مشيخة المدينة ، وأفذاذ

---

(١) ـ رواه مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .
(٢) ـ اي طبقت عليك عقوبة حد السكر : وهو ثمانون او اربعون جلدة .
(٣) ـ صفة الصفوة : ٢/٤٥ ، البداية والنهاية : ٩/١٠٠ .

علمائها وكبار صحابتها ، وروى عنهم الاحاديث النبوية ، وتقل عنهم الآثار ، وتمرن عليهم في القضاء ، وتمرس على الاجتهاد من آرائهم . حتى انه قال ـ فيما ذكرناه سابقا ـ : ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر وعمر وعلي وعثمان ومعاوية مني . فكان لتلمذته على هؤلاء الاساتذة العظام اكبر الاثر في سعة علمه وخصوبة فقهه ، وسداد رأيه .

قال الامام مالك : كان يقال لابن المسيِّب : راوية عمر ، فانه كان يتبع أقضية عمر يتعلمها ، وان كان ابن عمر ليرسل اليه يسأله عن بعض شأن عمر وأمره[1] . وقال يحيى بن سعيد : كان يقال : ابن المسيِّب راوية عمر . قال ليث : لانه كان احفظ الناس لاحكامه واقضيته[2] .

وكان سعيد ملازما لابي هريرة ، وكان زوج ابنته . قال ابو حاتم : هو أثبت التابعين في أبي هريرة[3] . وكان مكثرا الرواية عنه كما عرفنا ، وحفظ المسند من حديثه .

---

(١) تاريخ الذهبي : ٤/٥ ، تهذيب التهذيب : ٤/٨٦ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٥/١٢١ .

(٣) ـ خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ ، تاريخ الذهبي المكان السابق ، اعلام الموقعين : ١/٢٣ .

وسئل الزهري عمن أخذ سعيد بن المسيِّب علمه ؟ فقال : عن زيد بن ثابت ، وجالس سعد بن ابي وقاص ، وابن عباس ، وابن عمر ، ودخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : عائشة، وأم سلمة . وكان قد سمع من عثمان بن عفان ، وعلي ، وصهيب، ومحمد بن مَسْلمة . وجل روايته المسندة عن ابي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وسمع من أصحاب عمر وعثمان . وكان يقال : ليس أحد أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان منه[1] .

قال سليمان بن يسار : كنا نجالس زيد بن ثابت انا وسعيد ابن المسيِّب وقبيصة بن ذؤيب ، ونجالس ابن عباس ، فأما أبو هريرة فكان سعيدا أعلمنا بمسنداته لصهره منه[2] ، فهو اذن راوية ابي هريرة أيضا . ويمكننا تحديد شيوخ سعيد في الغالب كما يأتي :

أرسل[3] كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن أبي

---

(١) ـ وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٢١/٥ ، طبقات الفقهاء : ص ٢٥ .

(٢) ـ طبقات ابن سعد : ٣٨١/٢ .

(٣) ـ ارسال الحديث : حذف الصحابي من سنده بأن يرفعه التابعي الى النبي صلى الله عليه وسلم أو الى غيره ، سواء أكان التابعي من صغار التابعين كأبي حاتم ويحيى بن سعيد ، أو من كبار التابعين كابن المسيب وقيس بن أبي حازم . فيقول الراوي : قال فلان .

بكر الصديق وعن عمر وعثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص ، وبقية العشرة المبشرين بالجنة ، وأسند[1] في روايته عن عمر وعثمان وعلي وسعد بن ابي وقاص وابي بن كعب ، وحكيم ابن حزام ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص ، وأبيه المسيِّب ، وعمار بن ياسر ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وجبير بن مطعم ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجبير بن الحويرث، ومعمر بن عبد الله بن نضلة ، وأبي ذر ، وحسان بن ثابت ، وزيد ابن ثابت ، وعقبة بن عامر ، وصهيب بن سنان ، وجابر بن عبد الله، وسعد بن عبادة ، وصفوان بن المعطل ، وصفوان بن امية ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وابي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وأبي ثعلبة الخشني ، وأبي موسى الاشعري ، وأبي واقد الليثي ، وأبي بكرة ، وأبي قتادة الانصاري ، وأبي أيوب الانصاري ، وسلمان الفارسي ، وأنس بن مالك ، وعتاب بن أسيد ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعبد الله بن زيد المازني ، وعثمان بن ابي العاصي ، وعائشة، وأم سلمة ، وأسماء بنت عميس ، وضباعة بنت عم الرسول : الزبير ، وخولة بنت حكيم ، وفاطمة بنت قيس ، وأم سليم ، وأم

---

(١) ـ اسناد الحديث : نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم أو الى غيره بسند متصل من بدء السند الى منتهاه ، بأن يكون كل من رواته قد سمعه من شيخه من مبدأ السند الى منتهاه . فيتناول المرفوع : وهو المضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتناول الموقوف : وهو المضاف الى الصحابي ، ويتناول المقطوع : وهو المضاف الى التابعي .

شريك ، وطائفة آخرين[١] • وروى أيضا عن مروان بن الحكم[٢] • وروى أخبارا كثيرة في خلافات ومناقشات الصحابة مع بعضهم[٣]، وحضر عصر عثمان وعلي ومعاوية وبني مروان ، وحضر ايضا ايام ابن الزبير في الحجاز ، ووقعة الحَرّة ، وحصار الكعبة ، وغير ذلك من الحوادث ، وله علمه بأخبار الجاهلية والاسلام • وكان اعلم التابعين بأنساب قريش •

سماعه من عمر :

اختلف في اثبات سماع سعيد من عمر بن الخطاب على رأيين :

١ ـ فقال الامام مالك: لم يسمع منه، ولكنه أكب على المسألة في شأنه وأمره ، حتى كأنه رآه[٤] •

ويؤيد هذا الرأي ما ذكره بُكَيْر بن الاشج قال : سئل

---

(١) ـ تهذيب التهذيب : ٨٤/٤ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ وما بعدها ، تاريخ الذهبي : ٤/٤ ، طبقات ابن سعد : ٣٨٠/٢ ، مرآة الجنان : ١٨٥/١ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٣٠ ، صفة الصفوة : ٤٥/٢ ، البداية والنهاية : ٩٩/٩ ، وانظر ايضا سير أعلام النبلاء : جزء ٦٢/١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ١١١ ، ١٩٦ ، ٢٥٣ ، ٢٨١ ، وجزء ١٠/٢ ، ٣٢ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٤٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ ، ٣٣٤ ، ٣٦٦ ، ٣٩٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٣٨ ، وجزء ٣ / ٣٠ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ١١٣ ، ١٣٥ ، ٢٧٢ ، ٢٩١ ، مقدمة ابن الصلاح ٢٧٢ ، ٢٩١ .

(٢) ـ سير اعلام النبلاء : ٣١٤/٣ ، العواصم من القواصم : ص ١٨٩ •

(٣) ـ سير اعلام النبلاء ، الموضع السابق •

(٤) ـ خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ ، تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ •

سعيد بن المسيِّب ، هل أدركت عمر بن الخطاب ؟ فقال : لا[1] .

وقيل لابنه يحيى : يصح لسعيد سماع من عمر ؟ قال : لا ، الا رؤية رآه على المنبر ينعى النعمان بن مقرّن[2] .

وقال محمد بن عمر : ويروى أنه سمع من عمر ، ولم أر أهل العلم يصححون ذلك ، وان كانوا قد رووه[3] .

وقال الواقدي : لم أر أهل العلم يصححون سماعه عن عمر ، وان كانوا قد رووه[4] .

٢ ـ وقال الامام أحمد : لقد سمع سعيد من عمر ورآه . قال أبو طالب : قلت لأحمد بن حنبل : سعيد بن المسيِّب عن عمر حجة ـ أي في روايته ؟! قال : هو عندنا حجة ، قد رأى عمر، وسمع منه ، اذا لم يقبل سعيد عن عمر ، فمن يقبل ؟ قال الحاكم : أدرك عمر فمن بعده من العشرة المبشرين بالجنة[5] .

ويؤيد هذا القول روايات من سعيد عن عمر تصرح بالرؤية أو بالسماع . قال سعيد : سمعت من عمر كلمة ما بقي أحد حي سمعها غيري : كان عمر حين رأى الكعبة ، قال : اللهم أنت

---

(١) طبقات ابن سعد : ١٢٠/٥ .
(٢) ـ تهذيب التهذيب : ٨٥/٤ وما بعدها .
(٣) ـ طبقات ابن سعد : ١١٩/٥ .
(٤) ـ تهذيب التهذيب ، المكان السابق .
(٥) تاريخ الذهبي : ٧/٤ ، تهذيب التهذيب : ٨٥/٤ ، الباعث الحثيث : ص ١٩٢ .

السلام ، ومنك السلام[1] .

وقال سعيد أيضا : سمعت عمر على المنبر وهو يقول : لأجد أحدا جامع ، فلم يغتسل ، أنزل ، أو لم ينزل ، الا عاقبته[2] .

وروى ابن المسيِّب أن عمر رضي الله عنه صلى على أبي بكر بين القبر والمنبر ، وكبر عليه أربعا[3] .

وروى عن عمر دعاءه في السنة التي حج فيها أن يقبض الى الله[4] .

وقال سعيد : قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على هذا المنبر ـ يعني منبر المدينة ـ : اني أعلم أقواما سيكذبون بالرجم ، ويقولون : ليس في القرآن ، ولولا أني أكره أن أزيد في القرآن لكتبت في آخر ورقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ، ورجم أبو بكر ، وأنا رجمت . قال ابن حجر : هذا الاسناد على شرط مسلم[5] .

والواقع في تقديري للرأيين السابقين في سماعه من عمر أن سعيد بن المسيِّب فتن بشخصية عمر ، وأحبها حبا كبيرا ، فتلقف مروياته وآراءه ، وكل ما صدر عنه ، حتى قيل له : « راوية عمر » .

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٠/٥ .
(٢) ـ المرجع السابق .
(٣) ـ تاريخ الخلفاء : ص ٥٨ .
(٤) ـ المرجع السابق : ص ٩٠ ، تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ .
(٥) ـ تهذيب التهذيب : ٨٨/٤ ، حلية الاولياء ١٧٤/٢ .

ولا عجب على مثل ذاكرة سعيد القوية وحافظته المدهشة وذكائه المفرط ونباهته منذ الصغر : أن يتذكر شخصية عمر ، وبعض أقواله على المنبر ، وهو صبي يافع عمره ثماني سنوات ، اذ انه ولد كما عرفنا لسنتين مضتا من خلافة عمر ، واستمرت خلافته عشر سنوات واربعة أشهر . لهذا نرجح سماعه في بعض المرويات ، دون الاغراق في ذكرها ، أو المبالغة في عددها . قال يحيى بن معين : رأى عمر وكان صغيرا . وقال ابو حاتم الرازي : رآه على المنبر ، ينعى النعمان بن مقرن .

سماعه من عثمان :

لقد ثبت سماع سعيد من عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال سعيد : سمعت عثمان رضي الله عنه يقول ـ وهو يخطب على المنبر ـ : « كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود ، يقال لهم : بنو قينقاع ، فابتعته بربح ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعثمان ، اذا اشتريت فاكتل، واذا بعت فكل[1] » .

تفرده بالرواية عن أبيه :

تفرد سعيد بن المسيِّب بالرواية عن أبيه المسيَّب بن حَزْن، فلم يرو عنه غيره ، من صحابي ولا تابعي وغيرهما[2] .

---

(١) شرح مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٧٨ ، ط حلب ، ١٣٥٠ هـ .

(٢) الباعث الحثيث : ص ٢٠٦ ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٨٧ ، ط حلب ، ١٣٩٠ هـ .

٦ ــ تلامذتــه :

تتلمذ على سعيد وروى عنه خلق كثير ، من أشهرهم ابنه محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن شهاب الزهري ، وعمرو ابن دينار ، وقتادة ، وشريك بن أبي نمر ، وأبو الزناد ، وسعد ابن ابراهيم ، وعمرو بن مرة ، وبكير بن الاشج ، ويحيى بن سعيد الانصاري ، وداود بن أبي هند ، وطارق بن عبد الرحمن ، وعبد الحميد بن جبير بن شعبة ، وعبد الخالق بن سلمة ، وعبد المجيد ابن سهيل ، وعمرو بن مسلم بن عمارة بن أكيمة ، وأبو جعفــر الباقر ، وابن المنكدر ، وهاشم بن هاشم بن عتبة ، ويونس بن يوسف ، ومحمد بن عمرو بن عطاء ، وطارق بن شهاب ، ويونس ابن يوسف ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وعبد الرحمن بن حميد الزهري ، وعمارة بن عبد الله بن صياد ، وغيرهم[1] .

٧ ــ مكانته عند العلماء : (سيد التابعين) :

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف الزاهد الشيرازي فــي كتاب له : اختلف الناس في أفضل التابعين ، فأهل المدينة يقولون : سعيد بن المسيِّب ، وأهل الكوفة يقولون : أويس القرني ، وأهل البصرة يقولون : الحسن البصري[2] .

---

(١) ــ خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ ، تاريخ الذهبي : ٤/٤ ، تهــذيب التهذيب : ٨٤/٤ ، مصطلح الحديث للشهاري : ص ٢٥٦ ، المعارف لابن قتيبة : ص ٤٨٤ ، مرآة الجنان : ١٨٨/١ .

(٢) ــ مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٧٤ ، الباعث الحثيث : ص ١٩٤ .

وبغض النظر عن هذا الاختلاف الذي له صبغة اقليمية ، سنذكر شهادات الناس فيه قاطبة ، على اختلاف منازعهم ، من الخلفاء ، والصحابة ، والمعاصرين له من التابعين ، والمحدثين والفقهاء ، وكبار المؤرخين ، لنتبين أنه كان بحق أفضل التابعين .

آ ـ شهادة صحابي جليل :

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة : أئت ذاك فسله ، يعني سعيدا ، ثم ارجع الي فأخبرني ، ففعل ذلك وأخبره . فقال : ألم أخبرك أنه أحد العلماء . وكان ابن عمر اذا سئل عن الشيء يشكل عليه قال : سلوا سعيد بن المسيِّب ، فانه قد جالس الصالحين . وقال عنه : هو والله أحد المفتين . وقال أيضا لاصحابه عنه : لو رأى هذا رسول الله صلى الله وسلم لسره[1] .

ب ـ اعتراف خليفة راشدي صالح :

كان سعيد متقدما على الجبارين من ملوك بني مروان ، وكان ذا جلالة وتقدير في أعين الخلفاء ، وبخاصة عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز .

فكان عمر بن عبد العزيز لا يقضي بقضاء حتى يسأل سعيد ابن المسيِّب ، فأرسل اليه انسانا يسأله ، فدعاه فجاءه حتى

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٤١/٥ ، وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ ، طبقات الفقهاء : ص ٢٤ ، تهذيب التهذيب : ٨٤/٤ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، تذكرة الحفاظ : ١٨٥/١ ، مرآة الجنان : ١٨٥/١ .

دخل ، فقال عمر : أخطأ الرسول ، انما أرسلناه يسألك في مجلسك[1] . وقال عمر أيضا : ما كان بالمدينة عالم الا يأتيني بعلمه ، وأوتى بما عند سعيد بن المسيِّب[2] .

ج ـ تزكية المعاصرين له ومن بعدهم :

تكلم التابعون ومن بعدهم من تابعي التابعين ، واتباع أتباع التابعين ، وشهدوا بفضل وعلم سعيد وتقدمه عليهم وجلالة قدره بينهم .

فقال نافع مولى ابن عمر : هو والله أحد المتقنين[3] .

وحدث قدامة بن موسى الجمحي قال : كان سعيد بن المسيِّب يفتي وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء[4] .

وقال ابن أبي الحويرث : شهدت محمد بن جبير بن مطعم يستفتي سعيد بن المسيِّب[5] .

وعن عمرو بن (ميمون بن مهران) عن أبيه أي ميمون قال : قدمت المدينة ، فسألت عن أعلم أهل المدينة ، فدفعت الى سعيد بن المسيِّب[6] .

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٢/٥ ، ٣٨٢/٢ .
(٢) ـ طبقات ابن سعد ، المكان السابق ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ .
(٣) ـ تهذيب التهذيب : ٨٤/٤ .
(٤) ـ طبقات ابن سعد : ١٤١/٥ ، ٣٧٩/٢ .
(٥) ـ المرجع السابق .
(٦) ـ تهذيب التهذيب ، المكان السابق ، طبقات ابن سعد : ٣٨١/٢ .

وقال زين العابدين علي بن الحسين : أعلم الناس بمن تقدمه من الآثار وأفضلهم في روايته[1] .

وقال سليمان بن موسى : كان أفقه التابعين[2] .

قال مكحول فقيه الشام . طفت الارض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أحدا أعلم من سعيد بن المسيِّب . وقال أيضا : سعيد ابن المسيِّب عالم العلماء[3] .

وقال قتادة والزهري ومكحول وغيرهم : ما رأينا أعلم من ابن المسيب . وقال الزهري ايضا : جالسته سبع حجج ، وأنا لا أظن عند أحد علما غيره . كان سعيد أعلم الناس بقضاء عمر وعثمان . لزمت سعيدا فكان هو الغالب على علم المدينة والمستفتى[4] .

وقال قتادة أيضا : ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه . ما جمعت علم الحسن — أي البصري — الى علم أحد من العلماء، الا وجدت له عليه فضلا ، غير أنه كان اذا أشكل عليه شيء كتب

---

(1) — طبقات ابن سعد : ٣٨١/٢ ، ١٢١/٥ ، طبقات الفقهاء : ص ٢٥ ، مرآة الجنان : ١٨٥/١ .

(2) — تهذيب التهذيب : ٨٥/٤ .

(3) — تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، تهذيب التهذيب ، المكان السابق ، البداية والنهاية : ٩٩/٩ ، طبقات ابن سعد : ١٢١/٥ .

(4) — مرآة الجنان : ١٨٥/١ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ ، طبقات ابن سعد ٣٨٣/٥ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، شذرات الذهب : ١٠٢/١ .

الى سعيد بن المسيِّب يسأله[1] .

وقال القاسم بن محمد ومحمد بن عمر : هو سيدنا وأعلمنا، هو خيرنا وسيدنا[2] .

وقال الاوزاعي : سئل الزهري ومكحول : من أفقه من لقيتما ؟ قالا : سعيد بن المسيِّب[3] .

وقال اسماعيل بن أمية : سعيد بن المسيِّب عالم العلماء[4] .

وقال شهاب بن عبَّاد العَصَري : حججت ، فأتينا المدينة ، فسألنا عن أعلم أهل المدينة ، فقالوا : سعيد بن المسيِّب[5] .

وقال ابو زرعة : مدني قرشي ثقة امام[6] .

وقال ابو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة[7] .

---

(١) ـ مرآة الجنان : المكان السابق ، تذكرة الحفاظ : ٥٥/١ ، تاريخ الذهبي، المكان السابق ، شذرات الذهب ، المكان السابق ، خلاصة تذهيب الكمال : ص١٢١ تهذيب التهذيب ، المكان السابق .

(٢) ـ المراجع السابقة ، طبقات الفقهاء : ص ٢٥ .

(٣) ـ البداية والنهاية : ٩٩/٩ وما بعدها .

(٤) ـ طبقات ابن سعد : ٣٧٩/٢ .

(٥) ـ طبقات ابن سعد : ٣٨١/٢ ، ١٢٢/٥ ، وانظر خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ .

(٦) ـ تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ .

(٧) ـ المرجعان السابقان .

وقال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، واذا قال سعيد : مضت السنة ، فحسبك به ، وهو عندي أجل التابعين[1] .

د ـ تقدير الفقهاء له :

قال الامام الشافعي : ارسال[2] سعيد بن المسيِّب عندنا حسن[3] .

وقال الامام احمد بن حنبل : مرسلات سعيد هي صحاح . وقال : أفضل التابعين سعيد بن المسيِّب ، فقيل له : فعلقمة والأسود ، فقال : سعيد بن المسيِّب وعَلْقَمَةَ والأسود[4] .

وقال الامام مالك : بلغني أن عبد الله بن عمر كان يرسل الى ابن المسيِّب يسأله عن بعض شأن عمر وأمره ، وكان يقال لابن المسيِّب : رواية عمر ، فانه كان يتبع أقضية عمر يتعلمها[5] .

وعن يحيى بن سعيد قال : كان يقال : ابن المسيِّب راوية

---

(١) ـ شذرات الذهب : ص ١٠٢ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ ، تهذيب التهذيب : ٨٥/٤ ، البداية والنهاية : ١٠٠/٩ .

(٢) ـ الارسال : هو رواية التابعي الحديث بدون ذكر الصحابي الذي نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بأن يقول التابعي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) ـ البداية والنهاية : ١٠٠/٩ ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٤٩ .

(٤) ـ مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٧٤ ، البداية والنهاية ، المكان السابق ، خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ .

(٥) ـ تهذيب التهذيب : ٨٦/٤ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ .

عمر . قال ليث : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته[1] .

وقال أحمد بن عبد الله العجلي : كان سعيد رجلا صالحا فقيها ، كان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربعمائة دينار ، وكان يتجر في الزيت ، وكان أعور[2] .

هـ - في سجل الخالدين بشهادة كبار المؤرخين :

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى[3] : « وكان سعيد جامعا ثقة ، كثير الحديث ، ثَبَتاً ، فقيها ، مفتيا ، مأمونا ، ورعا ، عاليا ، رفيعا » .

وقال ابن حبان البستي في كتابه : الثقات : كان من سادات التابعين فقها ، ودينا ، وورعا ، وعبادة ، وفضلا ، وكان أفقه أهل الحجاز ، وأعبر الناس لرؤيا ، ما نودي بالصلاة من أربعين سنة الا وسعيد في المسجد[4] . وقال محمد بن يحيى بن حبان : كان رأس مَنْ بالمدينة في دهره ، المقدم عليهم في الفتوى سعيد بن المسيِّب ، ويقال : فقيه الفقهاء[5] .

وقال الأصبهاني في حلية الاولياء[6] : فأما أبو محمد سعيد

---

(١) - طبقات ابن سعد : ١٤١/٥ ، ٣٨١/٢ .
(٢) - البداية والنهاية : ١٠٠/٩ .
(٣) - ١٤٣/٥ .
(٤) - تهذيب التهذيب : ٨٧/٤ ، مشاهير علماء الامصار : ص ٦٣ .
(٥) - طبقات ابن سعد : ١٢١/٥ ، ٣٧٩/٢ .
(٦) - ١٦١/٢ .

ابن المسيِّب ابن حزن المخزومي ، كان من الممتحنين ، امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم ، صاحب عبادة وجماعة ، وعفة وقناعة ، وكان كاسمه بالطاعات سعيدا ، ومن المعاصي والجهالات بعيدا .

وقال ابن خلكان في وفيات الاعيان[1] : كان سيد التابعين من الطراز الأول ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ، سمع سعد بن أبي وقاص الزهري ، وأبا هريرة رضي الله عنهما .

وقال الذهبي : هو الامام ، شيخ الاسلام ، فقيه المدينة ، اجل التابعين ، كان واسع العلم ، وافر الحرمة ، متين الدين ، قوالا بالحق ، فقيه النفس . وقال أيضا : عالم المدينة بلا مدافعة[2] . وقال عنه ابن كثير : سيد التابعين على الاطلاق[3] .

وقال اليمني في مرآة الجنان[4] : هو السيد المجمع على جلالته وديانته وامامته الذي سما كل سيد تابعي بعد السيد العارف بالله : أويس القرني .

---

(١) ـ ٢/٣٧٥ .

(٢) ـ تذكرة الحفاظ : ١/٥٤ ، تاريخ الذهبي : ٤/٤ .

(٣) ـ البداية والنهاية : ٩/٩٩ .

(٤) ـ ١/١٨٥ .

وقال الخزرجي عنه : رأس علماء التابعين وفردهم وفاضلهم وفقيههم[1] .

وقال ابن حجر العسقلاني عنه : أحد العلماء الأثبات ، الفقهاء الكبار ، من كبار الثانية (اي الطبقة الثانية) ، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل[2] . وقال عنه ابن العماد : مناقبه ومآثره تفوت الحصر وقد صنف فيها[3] .

وأخيرا ترجم له الزركلي فقال : سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع . وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاء . وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته ، حتى سمي : راوية عمر[4] .

٨ ـ مجاله في تفسير القرآن :

تلقى التابعون تفسير القرآن عن الصحابة ، كما تلقوا عنهم علم السنة ، وان كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال ، كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال .

---

(١) ـ خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٢١ .

(٢) ـ تقريب التهذيب : ٣٠٥/١ وما بعدها .

(٣) ـ شذرات الذهب : ١٠٢/١ .

(٤) ـ الاعلام : ١٥٥/٣ .

وأعلم الناس بالتفسير من علماء التابعين هم : أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس . وأهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه الامام مالك التفسير، وأخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن وعبد الله بن وهب.

والتفسير اما أن يكون بالمأثور والنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن غيره من الصحابة والتابعين ، واما أن يكون بالرأي والاستنباط والتأويل[1] .

والنوع الاول ليس لأحد أن يتعرض له باجتهاد ولا غيره ، لأنه من باب الرواية مثل أسباب النزول . وأما النوع الثاني فهو ترجيح أحد المحتملات بالدليل بلا قطع ولا جزم : وهو ما استنبطه العلماء العاملون بمعاني القرآن . وخير التفسير : ماكان بالقرآن نفسه ، ثم بالسنة النبوية ، لأنها شارحة للقرآن ومبينة له ، قال صلى الله عليه وسلم : « اني أوتيت القرآن ومثله معه[2] » ثم بأقوال الصحابة ، فانهم أدرى لما شاهدوه من القرائن عند نزوله ، ولما اختصوا به من الفهم التام ، والعمل الصالح . ثم بأقوال التابعين . ولا يجوز التفسير بالرأي والاجتهاد بلا أصل

---

(١) ـ راجع مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ص ٧ وما بعدها ، و ١٧ وما بعدها ، و ٢٣ وما بعدها .

(٢) ـ رواه ابو داود والترمذي عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه (جامع الاصول : ١/١٩٠) .

يعتمد عليه ، قال الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم[1] » وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار[2] » ، وقال أبو بكر رضي الله عنه : « أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني اذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[3] » وروى أبو داود وغيره : « من تكلم في القرآن برأيه ، فأصاب فقد أخطأ[4] » أي اذا كان رأيا بلا دليل يعتمد عليه ، فتكـون اصابته اتفاقية صدفة لا عبرة بها . أما الرأي المستند الى دليل فجائز بلا انكار من احد ، ولهذا تحرج جماعة من السلف عـن تفسير ما لا علم لهم به[5] .

ولقد كان سعيد بن المسيّب ممن يتحرج من تفسير مالا علم له به ، ويتهيب من القول في القرآن برأيه المحض بدون دليل . سئل ابن المسيّب عن آية من كتاب الله ، فقـال : لا أقـول في القرآن شيئا[6] . ولهذا قلّ ما نقل عنه في التفسير[7] .

---

(١) ـ الآية ٣٦ من سورة الاسراء .

(٢) ـ رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) ـ تفسير الطبري : ٣٥/١ ، ط البابي الحلبي .

(٤) ـ رواه ابو داود والترمذي والنسائي عن جندب بن جنادة رضي الله عنه .

(٥) ـ مقدمة في أصول التفسير : ص ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ وما بعدها .

(٦) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٧/٥ ، ٣٨١/٢ ، تفسير الطبري : ٣٦/١ ، ط البابي الحلبي .

(٧) ـ سير اعلام النبلاء : ١٩٩/٤ .

وكان أجرأ على الافتاء بالرأي في الفقه والاهتمام به أكثر من تناول تفسير القرآن • عن يزيد بن أبي يزيد قال : « كنا نسأل سعيد بن المسيِّب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، واذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت ، كأنه لم يسمع » • وسأله رجل عن آية من القرآن ، فقال : لا تسألني عن آية من القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه ، يعني عكرمة[1] • وقال عبيد الله بن عمر : لقد أدركت فقهاء المدينة وانهم ليعظِّمون القول في التفسير ، منهم سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيِّب ، ونافع[2] •

والحقيقة أن ابن المسيِّب كان من أشهر المفسرين من التابعين كما ذكر في طبقات المفسرين • وهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف ، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به • فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا ، فلا حرج عليه • ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة بين الاقوال ، لانهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه • وهذا هو الواجب على كل أحد ، كما قال ابن تيمية[3] ، فانه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى :

---

(١) ـ تفسير الطبري : ١/٢٨ ، ط بولاق ، مقدمة في أصول التفسير : ص ٥٤.

(٢) ـ المرجعان السابقان .

(٣) ـ مقدمة في أصول التفسير : ص ٥٥ .

« لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه[1] » ، ولما جاء في الحديث المروي من طرق : « من سئل عن علم ، فكتمه ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار[2] » .

ولهذا زخرت كتب التفسير بآراء وأقوال ابن المسيِّب ، ومنها ـ على سبيل المثال ، لا الحصر والاستيعاب ـ ما يأتي :

١ ـ أقواله في التفسير المنقول :

في قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر أحدَكم الموتُ ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين[3] » قال سعيد : ان هذه الآية منسوخة نسختها آية المواريث[4] . لأن القول بالنسخ لا يكون ادعاء ، وانما بالدليل والنقل فقط .

وفي قوله تعالى : « أجيب دعوة الداع اذا دعان[5] » قال بقول عائشة تماما ، وقولها هو : ما من عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تعجل له في الدنيا ، أو تؤخر له في الآخرة ، اذا لم يعجل أو يقنط . قال عروة : قلت : يا أماه ، وكيف عجلته وقنوطه؟

(١) ـ الآية ١٨٧ من سورة آل عمران .

(٢) ـ رواه احمد في مسنده ، وأصحاب السنن الاربع ، والحاكم من حديث أبي هريرة .

(٣) ـ الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

(٤) ـ عمدة التفسير لابن كثير : ١٧/٢ .

(٥) ـ الآية ١٨٦ من سورة البقرة .

قالت : يقول : سألت فلم أعط ، ودعوت فلم أجب[1] .

وفي قوله عز وجل : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله[2] » روى سعيد سبب نزولها ، فقال : أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته ، وأنْتَثَل[3] مافي كنانته ، ثم قال : يا معشر قريش ، قد علمتم أني من أرماكم رجلا ، وأنتم ــ والله ــ لاتصلون الي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ، ثــم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، وان شئتم دللتكم على مالي وقُنْيَتي[4] بسكة ، وخليتم سبيلي . قالوا : نعم . فلما قــدم النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ربح البيع » قال : ونزلت هذه الآيــة[5] .

وقال عن آية الدَّيْن في سورة البقرة[6] : بلغه أن أحْدَثَ القرآن بالعرش : آية الدين[7] .

وقال في تفسير الصلاة الوسطى : « حافظوا على الصلوات

(1) ــ تفسير ابن كثير : ٢١٩/١ .

(2) ــ الآية ٢٠٧ من سورة البقرة .

(3) ــ أنثل البئر : استخرج ترابهــا .

(4) ــ القنية : ما اكتسبت ، والقُنْيَة : ما اقتنى من شاة أو ناقــة .

(5) ــ عمــدة التفسير : ٧٧/٢ .

(6) ــ الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(7) ــ عمــدة التفسير : ٢٠٠/٢ .

والصلاة الوسطى[1] » هي واحدة من الخمس لا بعينها ، وأبهمت فيهن ، كما أبهمت ليلة القدر في الحول او الشهر ، او العشر . كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلفين في الصلاة الوسطى هكذا ــ وشبك بين أصابعه[2] » .

وقال عن آية « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله[3] » : نزلت هذه الآية في الذين يتبنون رجالا غير أبنائهم ، يورثونهم ، فأنزل الله فيهم ، فجعل لهم نصيبا في الوصية ، ورد الميراث الى الموالي في ذي الرحم والعصبة ، وأبى الله للمدّعين ميراثا ممن ادعاهم وتبناهم ، ولكن جعل لهم نصيبا من الوصية[4] .

وذكر سبب نزول آية « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا[5] » : وهو أن بنت محمد بن مسلمة كانت عند رافع ابن خديج ، فكره منها أمرا ، اما كِبرا أو غيره ، فأراد طلاقها ، فقالت : لا تطلقني ، واقسم لي ما بدا لك » فنزلت الآية[6] .

وقال في قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

---

(١) ــ الآية ٢٣٨ من سورة البقرة .

(٢) ــ تفسير ابن كثير : ٢٩٤/١ . ولكن الراجح عند العلماء : أنها صلاة العصر ، لما ثبت في السنة ، وجمهور المحدثين على أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان .

(٣) ــ الآية ٧٥ من سورة الأنفال .

(٤) ــ عمدة التفسير : ١٦١/٣ وما بعدها .

(٥) ــ الآية ١٢٨ من سورة النساء .

(٦) ــ عمدة التفسير : ٩/٤ ، تفسير ابن كثير : ٥٦٣/١ .

فيما شجر بينهم[1] » نزلت في الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبي بلتعة ، اختصما في ماء ، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقي الأعلى ثم الأسفل[2] .

وقال في قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر[3] » : كان ميسر أهل الجاهلية : بيع اللحم بالشاة والشاتين[4] .

وقال في قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم[5] » : اذا أمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل اذا اهتديت[6] .

وقال في قوله تعالى : « وما رميتَ اذ رميت ، ولكن الله رمى[7] » : أنزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، أبيّ بن خلَف ، بالحربة ، وهو في لأمته[8] ، فخدشه في ترقوته فجعل يتدأدأ[9] عن فرسه مرارا حتى كانت وفاته بعد أيام ،

---

(١) ـ الآية ٦٥ من سورة النساء .
(٢) ـ تفسير ابن كثير : ٥٢١/١ .
(٣) ـ الآية ٩٠ من سورة المائدة .
(٤) ـ تفسير ابن كثير : ٩١/٢ .
(٥) ـ الآية ١٠٥ من سورة المائدة .
(٦) ـ عمدة التفسير : ٢٥١/٤ .
(٧) ـ الآية ١٧ من سورة الانفال .
(٨) ـ اللأمة : الدرع .
(٩) ـ دأدأ عن فرسه : سقط .

قاسى فيها العذاب الأليم موصولا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة[1] .

وقال في قوله تعالى : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا[2] » : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله[3] ».

٢ ـ تفسيره بالتأويل والاستدلال :

اعتبر البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من أوائل كل سورة ، وكان يجهر بها في الصلاة[4] .

فسر قوله تعالى في سورة الفاتحة : « رب العالمين » فقال : العالمين : ألف أمة ، فستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر[5] .

في آية السحر : « وما يعلّمان من أحد حتى يقولا : انما نحن فتنة فلا تكفر[6] » أجاز سعيد أن يسأل الساحر حلا لسحره[7] .

فسر قوله تعالى : « فانه كان للاوّابين غفورا[8] » : بأنه الذي

---

(١) ـ تفسير ابن كثير : ٢٩٦/٢ .
(٢) ـ الآية ٤٦ من سورة الكهف .
(٣) ـ تفسير ابن كثير : ٨٥/٣ .
(٤) ـ تفسير ابن كثير : ١٦/١ ، طبقات ابن سعد : ١٣٢/٥ .
(٥) ـ تفسير ابن كثير : ٢٤/١ .
(٦) ـ الآية ١٠٢ من سورة البقرة .
(٧) ـ تفسير ابن كثير : ١٤٨/١ .
(٨) ـ الآية ٢٥ من سورة الاسراء .

يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ولا يعود في شيء قصدا[1] •

وفسر الاحصار في آية « فـان أحصرتم فما استيسر مـن الهدي[2] » بقوله : الاحصار : من عدو أو مرض أو كسر[3] •

وقال في قوله تعالى : « فأتوا حرثكم أنى شئتم[4] » : أي في القبل ، وهو قول كثير من المفسرين • فيحرم اتيان النساء في ادبارهن[5] •

وقال في قوله تعالى : « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم[6] »: لا يمين في معصية ، ولا كفارة عليها[7] •

وقال في آية الايلاء : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر[8] » : انها تطلق بمضي الاربعة أشهر طلقـة رجعية ، واذا آلى الرجل من امرأته ، فليس عليه شيء حتى تمضي الأربعة أشهر ، فيوقف ، فان فاء ، والا طلق[9] •

وفسر الأقراء في آية : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة

---

(١) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦٥ •
(٢) ـ الآية ١٩٦ من سورة البقرة •
(٣) ـ عمدة التفسير : ٢/٥٤ •
(٤) ـ الآية ٢٢٣ من سورة البقرة •
(٥) ـ عمدة التفسير : ٢/١٠٢ ، تفسير ابن كثير : ١/٢٦٥ •
(٦) ـ الآية ٢٢٤ من سورة البقرة •
(٧) ـ عمدة التفسير : ٢/١٠٤ •
(٨) ـ الآية ٢٢٦ من سورة البقرة • والايلاء: حلف الرجل الا يجامع زوجته مدة•
(٩) ـ تفسير ابن كثير : ١/٢٦٨

قروء[1] » : بأنها الحيض[2] .

وقال في قوله تعالى : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به[3] »: لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها[4] . وليس للمخالع أن يراجع المختلعة في العدة بغير رضاها[5] .

ونقل عنه أنه قال في قوله عز وجل : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره[6] » : يحصل المقصود من تحليلها للاول بمجرد العقد على الثاني[7] . وعلق ابن كثير على ذلك بقوله : وفي صحته عنه نظر ، اذ أن سعيدا نفسه هو الذي روى حديث : « حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها » .

وسأله قتادة في آية عدة الوفاة : « يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا[8] » بقوله : مابال العشر ؟ قال : فيه ينفخ الروح[9] .

وفي قوله تعالى : « وسيدا وحصورا[10] » قال : السيد : هو الفقيه العالم[11] .

---

(1) ـ الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .
(2) ـ تفسير ابن كثير : ١/٢٧٠
(3) ـ الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .
(4) ـ تفسير ابن كثير : ١/٢٧٥ ، وهو قول مالك والشافعي .
(5) ـ تفسير ابن كثير : ١/٢٧٦ ، وهو قول الأئمة الاربعة .
(6) ـ الآية ٢٣٠ من سورة البقرة .
(7) ـ تفسير ابن كثير : ١/٢٧٧ .
(8) ـ الآية ٢٣٤ من سورة البقرة .
(9) ـ تفسير ابن كثير : ١/٢٨٥ .
(10) ـ الآية ٣٩ من سورة آل عمران .
(11) ـ تفسير ابن كثير : ١/٣٦١ . والحصور : هو المعصوم من الفواحش والقاذورات .

وفي آية الرضاع : « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم[1] » قال : ان مجرد الرضاع يحرم[2] وقال في تفسير المحصنات في هذه الآية نفسها : « والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم » : هذه ذوات الازواج ، حرّم الله نكاحهن ، الا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها[3] .

وقال في مرور الجنب من المسجد في آية : « ولا جنبا الا عابري سبيل[4] » : يمر بـه المار مرا ولا يجلس[5] .

وفي ذبيحة النصارى في آية : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌ لكم[6] » كان لا يرى بأسا بذبيحة نصارى بني تغلب[7] .

وفي ميتة البحر في آية : « أحل لكم صيد البحر ، وطعامه » . قال : طعامه مالفظه حيا ، او حسر عنه فمات[9] .

وفي التسمية على الذبيحة في آية : « ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه[10] » قال : ان ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر ، وان تركها عمدا لم تحل[11] .

---

(١) ـ الآية ٢٣ من سورة النساء .

(٢ ـ ٣) ـ تفسير ابن كثير : ٤٦٩/١ ، ٤٧٤ . خالف الجمهور في مسألة بيع الامة ، فقالوا : ان بيع الامة ليس طلاقا لها ، لان المشتري نائب عن البائع ، والبائع كان قد اخرج عن ملكه هذه المنفعة ، وباعها مسلوبة عنها .

(٤) ـ الآية ٤٣ من سورة النساء .

(٥) ـ تفسير ابن كثير : ٥٠١/١ .

(٦) ـ الآية ٥ من سورة المائدة .

(٧) ـ تفسير ابن كثير : ٢٠/٢ .

(٨) ـ الآية ٩٦ من سورة المائدة .

(٩) ـ تفسير ابن كثير : ١٠١/٢ .

(١٠) ـ الآية ١٢١ من سورة الانعام .

(١١) ـ تفسير ابن كثير : ١٧٠/٢ ، وهو مذهب مالك واحمد .

وفي قوله تعالى : « إذ يغشّيكم النعاسَ أمنَةً منه ، وينزّل عليكم من السماء ماء[1] » قال : انه طَش" أصابهم يوم بدر[2] .

وفي قوله سبحانه : « والسابقون الأولون من المهاجرين »[3] قال : هم الذين صلّوا الى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

وقال في آية : « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين[5] »: هي دمشق[6] ، أي أنه آوى سيدنا عيسى وأمه اليها . وفسر قوله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »[7] فقال : القلب السليم : هو القلب الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض ، قال الله تعالى : « في قلوبهم مرض »[8] وفي قوله عز وجل : « يخرج الخِبء في السموات والأرض »[9] قال : الخبء هو الماء[10] .

---

(١) ـ الآية ١١ من سورة الأنفال .
(٢) ـ تفسير ابن كثير : ٢٩٢/٢ ، والطش : المطر الضعيف .
(٣) ـ الآية ١٠٠ من سورة التوبة .
(٤) ـ تفسير ابن كثير : ٣٨٣/٢ .
(٥) ـ الآية ٥٠ من سورة المؤمنون .
(٦) ـ تفسير ابن كثير : ٢٤٦/٣ .
(٧) ـ الآية ٨٩ من سورة الشعراء .
(٨) ـ تفسير ابن كثير : ٣٣٩/٣ .
(٩) ـ الآية ٢٥ من سورة النمل .
(١٠) ـ تفسير ابن كثير : ٣٦١/٣

وفسر قوله تعالى : « وجعلنا ذريته هـم الباقين »[1] أي ذرية نوح . وقال : ولد نوح عليه السلام ثلاثة : سام ، ويافث ، وحـام . وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة : فولد سام : سام العرب ، وفارس ، والروم . وولد يافث : الترك ، والصقالبة ويأجوج ومأجوج . وولد حام : القبط ، والسودان والبربر[2] .

وفي قولـه سبحانه : « وأن لـو استقاموا على الطريقـة لأسقيناهم مـاء غدقاً »[3] قال : أي الاسلام[4] .

وفي قوله تعالى : « وامرأته حمالة الحطب[5] » قال : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت ، لأنفقنَّها في عداوة محمد ــ يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار[6] ــ . والمسد : الليف .

وفسر قوله تعالى : « الله الصمد »[7] فقال : الصمد : الذي لا جوف له[8] .

هذا أنموذج من تفسير سعيد بن المسيب بالمنقول المأثور ، والتأويل والاستنباط ، مما يدل على أنه كان حجة في التفسير ،

---

(1) ــ الآية ٧٧ من سورة الصافات .
(2) ــ تفسير ابن كثير : ١٢/٤ .
(3) ــ الآية ١٦ من سورة الجن .
(4) ــ تفسير ابن كثير : ٤٣١/٤ .
(5) ــ الآية ٤ من سورة اللهب .
(6) ــ تفسير ابن كثير : ٥٦٤/٤ .
(7) ــ الآية ٢ من سورة الاخلاص .
(8) ــ تفسير ابن كثير : ٥٧٠/٤ . وأكثر المفسريـن على أن الصمد : هو السيد الذي قد انتهى سؤدده الى النهاية في العزة .

فلقد كان يعظم القرآن والحديث فيقول للناس : « لا تقولوا مصيحف ولا مسيجد ، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل[١] .

٩ ـ منزلته في الحديث :

كان سعيد يعظّم الحديث النبوي ، ويتأدب عند روايته ، قال طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب : دخل المطلب بن حنطب على سعيد بن المسيب في مرضه ، وهو مضطجع ، فسأله عن حديث ، فقال : أقعدوني ، فأقعدوه ، قال : اني أكره أن أحدّث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع[٢] .

وكان رأيه في الصحابة معتدلا . عن أبي بكر بن عبد الله قال : كان سعيد بن المسيِّب اذا سئل عن هؤلاء القوم ، قال : أقول فيهم ما قوّلني : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان »[٣] حتى يتم الآية[٤] .

ويفسر الصحبة بطول المصاحبة للنبي صلى الله عليه وسلم . وهذا قريب من قول الأصوليين . قال : « الصحابة لا نعدهم الا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين »[٥] .

ولكن قال العراقي : ولا يصح هذا عن ابن المسيب ، ففي الاسناد اليه محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث .

---

(١) ـ حلية الأولياء : ١٧٧/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٣٧/٥ .

(٢) ـ حلية الاولياء : ١٦٩/٢ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، جامع بيان العلم وفضله : ١٩٩/٢ .

(٣) ـ الآية ١٠ من سورة الحشر .

(٤) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٠/٥ .

(٥) ـ الباعث الحثيث : ص ١٨٠ ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٦٣ .

وابن المسيب ثقة من أعلام رواة الحديث ، سواء أكان مُسْنِدا أو مرسلا[1] ، وان كان الحديث المسند أعلى رتبة من المرسل • فقد قسم الحاكم طبقات التابعين الى خمس عشرة طبقة ، فذكر أن أعلاهم من روى عن العشرة المبشرين بالجنة[2] ، وذكر منهم سعيد بن المسيِّب ، الا أنه لم يدرك الصدّيق ، قولا واحدا ، لأنه ولد في خلافة عمر لسنتين مضتا أو بقيتا[3] •

وقال الحاكم : وأصح أسانيد المكثرين من الصحابة عن أبي هريرة : الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة • وقال الذهبي : وأصح الاحاديث : ما جاء عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة • وما جاء عن أبي الزّناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة • وما جاء عن ابن عون وأيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة[4] •

وروى ابن مَنْدَه في الوصية من طريق يزيد بن أبي مالك قال : كنت عند سعيد بن المسيب ، فحدثني بحديث ، فقلت له :

---

(١) ـ الحديث المسند : هو ما اتصل اسناده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من راويه الى منتهاه دون انقطاع . والحديث المرسل : هو مارفعه التابعي الى النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة دون ذكر الصحابي(راجع الباعث الحثيث: ص ٤٤ ، ٤٧ وما بعدها ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٣٩ ، ٤٧ وما بعدها) .

(٢) ـ المبشرون بالجنة هم الخلفاء الراشدون الاربعة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص . وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام .

(٣) ـ الباعث الحثيث : ص ١٩١ وما بعدها ، مقدمة ابن الصلاح : ص٢٧٢ .

(٤) ـ سير أعلام النبلاء : ٤٣٨/٢ .

من حدثك يا أبا محمد بهذا فقال : يا أخا أهل الشام ، خذ ، ولا تسأل ، فإنا لا نأخذ الا عــن الثقات[1] .

وقال يحيى بن معين : مرسلات ابن المسيب أحب الي مــن مرسلات الحسن[2] .

وقال الشافعي : إرسال ابن المسيب عندنا حسن[3] . قالوا : لأنه تتبعها فوجدها مُسنَدة[4] . والواقع أن الشافعي يعتبر مراسيل كبار التابعين حجة ، إن جاءت من وجه آخر مرسلة أو مسندة ، أو اعتضدت بقول صحابي ، أو أكثر العلماء ، أو كان المُرْسِل لا يروي إلا عن ثقة[5] .

وقال أحمد بن حنبل : مرسلات سعيد صحاح ، لا نــرى أصح من مرسلاته[6] . وقال أحمد أيضا : « ومن مثل سعيد ثقة من أهــل الخير » .

وفي الجملة : كان ابن المسيب اماما في الحــديث ، كما كان اماما في التفسير والفقه وتعبير الرؤيا . وقد اجمع المحدثون على ثقته وضبطه ، وحبه للسنة وحرصه عليها ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب : اتفقوا على ان مرسلاته أصح المراسيل .

---

(١) ـ تهذيب التهذيب : ٨٧/٤ .
(٢) ـ المرجع السابق : ٨٥/٤ .
(٣) ـ المرجع السابق : ٨٦/٤ .
(٤) ـ الباعث الحثيث : ص ٤٨ ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٤٩ .
(٥) ـ المرجعان السابقان ، الرسالة للشافعي : ص ٤٦١ وما بعدها/ف١٢٦٢ـ ١٣٠٨ .
(٦) ـ البداية والنهاية : ١٠٠/٩ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤، تذكرة الحفاظ : ٥٤/١ ، تهذيب التهذيب : ٨٥/٤ .

ونذكر هنا نماذج من أحاديثه :

١ ـ مسانيده :

أسند عنه الامام الشافعي والامام أحمد في مسنديهما كثيرا من الاحاديث ، وأسند سعيد عن كبار الصحابة ، والمكثرين من الروايـــة .

آ ـ فمن مسانيده عن عمر أنه قضى في دية الابهام بخمس عشرة من الابل ، وفي التي تليها بعشر ، وفي الوسطى بعشر ، وفي التي تلي الخنصر بتسع ، وفي الخنصر بست[١] .

وعن سعيد : « أن عمر بن الخطاب كان يقول : الدية للعاقلة (أي العصبة) ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا ، حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله كتب اليه : أن يُورِّث امرأة أشْيَم الضِّبابي من ديته ، فرجع اليه عمر »[٢] .

وقال سعيد : قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على هذا المنبر ـ يعني منبر المدينة ـ : اني أعلم أقواما سيكذبون بالرجم ، ويقولون : ليس في القرآن ، ولولا أني أكره أن أزيد في القرآن لكتبت في آخر ورقة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ، ورجم أبو بكر ، وأنا رجمت[٣] . قال ابن حجر : هذا الاسناد على شرط مسلم[٤] .

---

(١) ـ الرسالة للشافعي : ص ٤٢٢/ف ١١٦٠ .
(٢) ـ المرجع السابق .
(٣) ـ حلية الأولياء : ١٧٤/٢ .
(٤) ـ تهذيب التهذيب : ٨٨/٤ .

وقال سعيد : ان عمر قال : اياكم أن تهلكوا عن آيـة الرجم ، فذكـر نحوه .

وقال سعيد : ان عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول ما يرفع من الامة الامانة ، وآخر مايبقى الصلاة ، ورب مصل لا خير فيه .

وقال سعيد : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اعتز بالعبيد أذله الله[1] .

ب ـ ومن مسانيده عن عثمان بن عفان : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اذا سمعتم النداء فقوموا،فانها عزمة من الله[2]».

وقال سعيد : رأيت عثمان قاعدا في المقاعد[3] ، فدعا بطعام ممّامسته النار ، فأكله ، ثم قام الى الصلاة فصلى ، ثم قال عثمان: قعدت مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكلت طعام رسول الله ، وصليت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

ج ـ ومن مسانيده عن علي بن أبي طالب[5] : انه قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها : ما خير للنساء ؟ قالت : الا يرين الرجال ، ولا يرونهن . فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « انهـا فاطمة بَضعة مني » .

---

(١) ـ حلية الأولياء : ١٧٤/٢ .

(٢) ـ المرجع السابق .

(٣) ـ المقاعد : مكان مخصص للوضوء .

(٤) ـ مسند احمد : ٣٧٨/١ ، ط ١٣٧٤ هـ .

(٥) ـ حلية الاولياء : ١٧٥/٢ .

وقال سعيد : عن علي رضي الله تعالى عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من اتقى الله عاش قويا ، وسار في بلاده آمنا » .

د ـ ومن مسانيده عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدخل فرسا بين فرسين ، وهو لا يأمن أن يسبق ، فهو قمار »[1] .

وروى عن أبي هريرة ايضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا اشتد الحر ، فأبردوا عن الصلاة ، فان شدة الحر من فيح جهنم »[2] .

وعنه أيضا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قلت لصاحبك : أنصت يوم الجمعة ، والامام يخطب ، فقد لغوت »[3] وأسند عنه : أن رسول الله قال : « وفي الركاز الخمس[4] » « لا يبيع الرجل على بيع أخيه »[5] .

وأسند عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان المرأة كالضِلَع ، اذا ذهبت تقيمها كسرتها ، وان

---

(١) ـ المرجع السابق .
(٢) ـ مسند أحمد : ٤٣/١٤ ، سبل السلام : ١٠٩/١ .
(٣) ـ سنن ابن ماجه : ٣٥٢/١ .
(٤) ـ الرسالة : ص ١٩٦ ، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك : ٢٤٤/١ .
والركاز : كنوز الجاهلية المدفونة في الارض .
(٥) ـ الرسالة : ص ٣١٤ ، نيل الاوطار : ١٦٨/٥ .

تركتها ، استمتعت بها ، وفيها عوج[1] » .

وعنه أيضا أنه كان يقول : « لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ماذَعرتها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين لابتيها[2] حرام[3] » .

وعنه أيضا قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال : الايمان بالله . قال : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور[4] » .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا وقعت الفأرة في السمن ، فإن كان جامدا فألقوها ، وماحولها ، وان كان مائعا فلا تقربوه[5] » .

هـ ـ ومن مسانيده عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان لكل شيء شرفا يتباهون به ، وان بهاء امتي وشرفها القرآن[6] » .

وأسند عنها أنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) ـ صحيح مسلم : ٦٦٧/١ ، ط ١٣٤٨ هـ .
(٢) ـ لابتا المدينة : حرتان تكتنفانها . والحرة : الارض ذات الحجارةالسود.
(٣) ـ صحيح البخاري : ٢١٠/١ ، ط ١٣٤٣ هـ ، جامع الأصول : ١٩٦/١٠، الطبعة الاولى .
(٤) مسند أحمد : ٦٠/١٤ .
(٥) ـ سنن أبي داود : ١٦١/٣ .
(٦) ـ حلية الأولياء : ١٧٥/٢ .

« اذا جاوز الختان الختان وجب الغسل[1] » .

و ـ ومن مسانيده عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي جبريل : ليبك الاسلام على موت عمر ـ رضي الله تعالى عنه[2] » .

ز ـ ومن مسانيده عن عمار بن ياسر ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حسن الخلق : خلق الله الأعظم[3] » .

٢ ـ مراسيله :

أرسل سعيد الحديث ، لأنه واثق ممن أرسل عنه ، من ذلك ماروا ه مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب : أنه كان يقول : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين[4] » .

وأخبر مالك عن ابن شهاب الزهري عن ابن المسيَّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نسي صلاة فليصلِّها اذا ذكرها ، فإن الله يقول : أقم الصلاة لذكري[5] » .

وعن الزهري أن سعيد بن المسيِّب أخبره أن رسول الله

---

(١) ـ سنن الترمذي : ١٢٣/١ ، ط حمص سورية .
(٢) ـ حلية الأولياء ، المكان السابق .
(٣) ـ المرجع السابق .
(٤) ـ الرسالة للشافعي : ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٥) ـ الرسالة : ص ٣٢٤ . والآية ١٤ من سورة طه .

صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوة[1] » أي قهرا .

وعن زيد بن أسلم عن سعيد بن المسيِّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الحيوان باللحم[2] . وقال داود ابن الحصين : انه سمع سعيد بن المسيِّب يقول : من ميسر أهل الجاهلية : بيع الحيوان باللحم بالشاة والشاتين[3] .

وعن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيِّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة والمحاقلة . والمزابنة: اشتراء الثمر بالتمر . والمحاقلة : اشتراء الزرع بالحنطة ، واستكراء الأرض بالحنطة . قال ابن شهاب : فسألت سعيد بن المسيِّب عن استكراء الأرض بالذهب والورق (أي الفضة) فقال : لا بأس بذلك ..[4] » .

والخلاصة أن مراسيل سعيد بن المسيِّب حجة باتفاق العلماء ، لأنه ثقة وتابعي كبير لقي جماعة من الصحابة وجالسهم ، وذلك مثل مراسيل عبيد الله بن عدي بن الخيار[5] .

١٠ ـ فقه سعيد (فقيه الفقهاء) :

اشتهر سعيد بن المسيِّب بالفقه والفتوى ، لأنه كان فقيه

---

(١) ـ سنن أبي داود : ٣/١٦١ .
(٢) ـ تنوير الحوالك : ٢/١٥٠ .
(٣) ـ المرجع السابق .
(٤) ـ المرجع السابق : ٢/١٢٩ .
(٥) ـ مقدمة ابن الصلاح : ص ٤٧ .

النفس ، واسع العلم ، خصب المعرفة ، وأعلم الناس بالقضاء ، حتى قيل له : « فقيه الفقهاء » . وكان أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفقههم في رأيه ، كما قال عنه أبو علي بن حسين[1] . وقال عنه ابن القيم[2] : « ثم صارت الفتوى ــ بعد الصحابة ــ في أصحاب هؤلاء ــ أي الصحابة المكثرين من الفتوى ــ كسعيد ابن المسيِّب راوية عمر وحامل علمه . قال جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ قال : أما أفقههم فقها وأعلمهم بقضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضايا أبي بكر، وقضايا عمر ، وقضايا عثمان وأعلمهم بما مضى عليه الناس ، فسعيد بن المسيِّب » قال ابن قتيبة : كان سعيد أفقه أهل الحجاز[3] ، وقال الجاحظ في رسالته في التجارة : هل كان في التابعين أعلم من سعيد بن المسيِّب أو أنبل ؟.

أولا ــ جرأته في الفتيا :

كان سعيد بن المسيّب بعد ابن عباس واسع الفتيا . وكانت الفتوى اذا جاءت المدينة تتردد بين علمائها الى أن تصل اليه فيفتي . قال أبو اسحاق : كنت أرى الرجل في ذلك الزمان ، وانه ليدْخُل ، يسأل عن الشيء ، فيدفعه الناس عن مجلس الى مجلس، حتى يُدْفَع الى مجلس سعيد بن المسيّب كراهية للفتيا . وكانوا

(١) ــ طبقات ابن سعد : ١٢١/٥ .
(٢) ــ اعلام الموقعين : ٢٢/١ .
(٣) ــ المعارف : ص ٤٣٧ .

يدعونه سعيد بن المسيِّب · الجريء[1] • وكان يفتي وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم متوافرون أحياء •

والحقيقة : ان الجرأة تذم ممن قل علمه ، فيفتي عن كل ما يسأل عنه بغير علم • أما من اتسع علمه ، وقوي فهمه ، ووفر حفظه ، فانها جرأة محمودة ، بل إقدام يجب أن يكون • وهكذا كان سعيد جريئا إيجابيا مقداما لا يتهيب الفتيا بعد أن استكمل شروطها ، وأعد لها العدة الكافية •

ولقد أدى واجبه ، وقام بالدور الخطير الملقى على عاتقه ، ولم يتهرب من مجابهة المسئولية الجسيمة الملقاة على أمثاله من العلماء ، وذلك لأنه تجددت قضايا ، وطرأت مسائل في عصر التابعين لم تكن في عهد الصحابة • ولولاه ومن معه من فقهاء المدينة لتغير مجرى الفقه الاسلامي •

وكان لفقههم خصائص معينة منها[2] :

ترك العمل بالنصوص المطلقة ، أو العامة ، لأنهم رأوا العمل بها ينافي المصلحة ، فعملوا بما يحقق هذه المصلحة ، وان ترتب عليه تقييد النص ، أو تخصيصه أو ترك ظاهره • ومن ذلك اجازة التسعير للسلع والحاجيات ، ورد شهادة القريب لقريبه أو الزوج لزوجته وبالعكس ، ومنع النساء من الخروج الى المساجد ،

---

(١) ـ اعلام الموقعين : ٣٥/١ •

(٢) ـ راجع تاريخ الفقه الاسلامي للدكتور محمد يوسف موسى : ص ١٢٧•

وإجازة سماع الغناء وآلاته ، لأنه يرقق القلب ويهيج الأحزان والشوق الـى الله •

ثانيا ـ منهجه الاجتهادي :

كان منهج سعيد بن المسيِّب في الاجتهاد الفقهي هو نفس منهج الصحابة ، بالاعتماد على مصادر الفقه الأساسية الأربعة : وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس • فاذا لـم يجد حكما للحادثة في القرآن والسنة والاجماع نظـر وتخير من أقـوال الصحابة واتبع عن دليل وفكر لا عن تقليد ، ومن هذا الاتباع أطلق على سعيد وأمثاله اسـم التابعين[1] • فهم الذين اتبعوا الصحابة باحسان حقا ، لأنهم أولوا العلم والبصائر الذين لايقدمون على كتاب الله وسنة رسوله رأيا ولا قياسا ولا معقولا ، ولا قول أحد من العالمين[2] • ولم يعرف أن أحدا من التابعين خالف قول الصحابة أو أقوالهم اذا وجدت ، أما اذا لم يجد فيها قولا كما لم يجده في الكتاب والسنة والاجماع اجتهد واستنبط حكم الله بما يؤديه اليه اجتهاده ، فاستخدم القياس ، أو الاستصلاح (العمل بالمصالح) ، أو العرف ونحو ذلك •

ولقد كان للتابعين وعلى رأسهم سعيد الفضل الأول في وضع أساس الصرح العالي للفقه الاسلامي ، وتكون المدارس الفقهية ، ونشوء المذاهب بسبب أخذهم الفقه عن كبار الصحابة ، فتكونت

---

(١) ـ محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي للشيخ فرج السنهوري : ص/٢٩ •
(٢) ـ اعلام الموقعين : ٢/٢٢٢ •

في البلاد مدارس متأثرة بمنهج بعض الصحابة مثل زيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص في الحجاز ، وعمر ، وعبد الله ابن مسعود في العراق . وكانت ذخيرتهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآراء الصحابة ، وآراؤهم الشخصية المستنبطة. ثم اختلفت البلاد في المسائل والمبادىء ، فبدأ تكون المدارس ، وأهمها مدرسة أهل الحديث أو مدرسة المدينة . ومدرسة أهل الرأي أو مدرسة الكوفة[1] .

وأسباب تكون مدرسة المدينة أو مدرسة الفقهاء السبعة ، وسيدهم سعيد هي :

١ ـ ظروف سياسية :

فقد كــره العلماء الأمويين ، واعتزلوا في المدينة ، بعد أن انتقلت السلطة الدنيوية الى الشام ، وبقيت السلطة الدينية في المدينــة .

٢ ـ وظروف اجتماعية :

اذ أن المدينة دار الهجرة ، وبلد نزول الوحي ، وعاش فيها الأصحاب والخلفاء الراشدون ، فأصبحت مجمع الفقهاء والعلماء ومهــد السنة .

٣ ـ تلمذة التابعين في المدينة على كبار الصحابة :

مما أدى الى وجود نشاط كبير وحركــة فقهية استقطبت

(١) ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي للدكتور علي حسن : ص ١٣٧ وما بعدها ، تاريخ الفقه الاسلامي للسايس وجماعة : ص ٧٦ وما بعدها .

أنظار الناس ، حتى إن المستفتين اذا أرادوا حديثا نبوياً أو حكم مسألة طارئة ، ذهبوا الى هؤلاء الفقهاء ــ فقهاء المدينة ــ بدلا عن الأصحاب . فلمعت أسماء شخصيات هــذه المدرسة ، حتى إن أبا الزناد جمع آراءهم وفتاويهم في كتاب سماه « رأي الفقهاء السبعة بالمدينة وما اختلفوا فيه »[1] .

ولقد كان ابن المسيِّب كما لاحظنا يجمع بين العمل بالحديث والعمل بالرأي ، فاذا وجد الحديث لم يذهب الى الرأي ، واذا لم يجد حديثا تغلغل في بحث روح التشريع ، وغاص في تعرف المصالح وعلل الأحكام ، والمعاني التي تستهدفها النصوص ، ثم أفتى عن علم وتثبت وفهم ، فسمي : الجريء[2] . وهكذا نعرف أنه لم يكن هناك انفصال بين المدارس التي تكونت في عهد ابن المسيِّب ، وكانت كلها تعتمد السنة والرأي ، الا أن الغالب في الحجاز التزام الحديث ، والغالب في العراق الجنوح الى الرأي المتمشي مع هدي الشريعة بسبب قلة الحديث ، والتحري الشديد لصحة الروايات ، والاستيثاق الزائد في الراوي .

ونذكر هنا هــذه الحادثة لنعلم هذا الاتجاه الفقهي لابن المسيِّب المتصف بالتزامه السنة أولا ، ثم البحث عن الرأي ثانيا :

---

(١) ــ نظرة في تاريخ الفقه ، المرجع السابق : ص ١٤٠ ــ ١٤٢ .

(٢) ــ تاريخ الفقه للسنهوري : ص ٣٠ .

أخرج الامام مالك عن ربيعة بن عبد الرحمن[١] أنه قال[٢] : سألت سعيد بن المسيِّب كم في إصبع المرأة[٣] ؟ فقال : عشر من الابل ، فقلت : كم في إصبعين ؟ قال : عشرون من الابل ، فقلت : كم في ثلاث ؟ فقال : ثلاثون من الابل ، فقلت : كم في أربع ؟ قال : عشرون من الابل . فقلت حين عظم جرحها ، واشتدت مصيبتها نقص عقلها[٤] ؟! فقال سعيد أعراقي أنت ؟ فقلت : بل عالم متثبت أو جاهل متعلم . فقال سعيد : هي السنة يا ابن أخي .

فقد افتى سعيد بظاهر ما أخرجه النسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عقل المرأة مثل عقل الرجل ، حتى تبلغ الثلث من ديتها » وبما أن عقل أربع أصابع يزيد عن ثلث الدية ، استحق التنصيف أي تكون ديتها على النصف من دية الرجل ، وان كان غير مطابق لقضية الفكر أو العقل ، إذ لا شأن للعقل في التشريع الذي فيه نص . ولذلك عاب

---

(١) ـ هو شيخ مالك ، وكان من الحجازيين الذين يميلون الى الرأي، فلقب: ربيعة الرأي .

(٢) ـ تنوير الحوالك شرح موطأ مالك : ٦٥/٣ ، وراجع المغني لابن قدامة : ٧٩٨/٧ .

(٣) ـ أي كم في ديتها الواجبة اذا اعتدي عليها بالقطع .

(٤) ـ أي ديتها .

على ربيعة ما يعاب عليه العراقيون يومئذ من تحكيم العقل في النصوص[1] •

وبهذا يظهر أن سعيد بن المسيّب على رأس أهل الحجاز كان وقّافا عند النصوص والآثار ، ولا يلجأ الى الرأي الا عند الضرورة ، اذ رأى هو وأصحابه أن أهل الحرمين الشريفين أثبت الناس في الحديث والفقه ، فأكبّ على ما في أيديهم من الآثار يحفظه ، فجمع فتاوى أبي بكر وعمر وعثمان ، وأحكامهم ، وفتاوى علي قبل الخلافة ، وعائشة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبي هريرة ، وقضايا قضاة المدينة ، وحفظ من ذلك شيئا كثيرا ، ورأى أنه بعد هذا في غنية عن استعمال الرأي[2] •

ثالثا ـ آراؤه الخاصة في الفقه ـ (هل خالف الاجماع ؟) :

ذكر ابن جرير الطبري[3] أنه كانت هناك عشر مسائل مختلف فيها بين سعيد بن المسيّب ، وبين بقية العلماء ، أي أن له فرائد أو غرائب تفرّد بها ، وخالف بها إجماع المسلمين : « عن يحيى ابن سعيد قال : الناس يخالفون سعيد بن المسيّب في عشر خصال قد عرفوه : كان يقول : لا يسلف في شيء من الأشياء ، ثم ذكر الخصال العشر » •

---

(١) ـ تاريخ الفقه للسايس : ص ٧٩ وما بعدها ، تاريخ التشريع للخضري ص ١٤٢ •

(٢) ـ السايس ، المرجع السابق : ص ٧٧ •

(٣) ـ اختلاف الفقهاء ـ كتاب البيوع ، تحقيق كِرْن الألماني : ص ٦٨ •

والحقيقة : أن الرواية عن سعيد في مثل هذه الأمور مشكوك فيها كما سنبين . وادعاء وجود الاجماع فيها غير ثابت ، بدليل أن أحدا لم يذكر لنا أي مسألة أجمع عليها فقهاء التابعين[1] . ولو صحت مخالفة سعيد في هذه المسائل ، أليس ذلك دليلا واضحا على أن الاجماع لم ينعقد ؟!

وأهم هذه المسائل فيما أظن ما يأتي :

١ ـ عدم جواز السلم أو السلف[2] : كان يقول : لا يسلف في شيء من الاشياء ودليله حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل بيع ما ليس عندك .

ولكن روي عن سعيد نفسه خلاف هذا القول ، فقال : في السلف في الثياب والحنطة بذرع معلوم ، وكيل معلوم ، ليس به بأس[3] .

وتأوّل الطبري حديث عمرو بن شعيب بأنه يحتمل أن يكون

---

(١) ـ تاريخ الفقه للسنهوري : ص ٣٠ .

(٢) ـ السلف : هو بيع آجل بعاجل ، كأن يقول مزارع لغيره : أسلفتك مدآ من الحنطة بدينار . علما بأن الحنطة لم يحن وقت حصادها ، وانما ستسلم وقت الحصاد ، وأن قبض الثمن كله يجب في مجلس العقد . وقد أجيز شرعا استثناء من القواعد العامة التي تقضي بعدم جواز بيع الشيء المعدوم وقت التعاقد لحاجة الناس اليه ، وتيسيرا عليهم . اخرج الائمة الستة في كتبهم عن ابن عباس حديث: « من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم » .

(٣) ـ اختلاف الفقهاء للطبري : ص ٦٨ .

نهياً عن بيع ما ليس عند الانسان من الأشياء غير المضمونة عليه ، ويجوز بيع ما كان مضمونا بصفته[1] .

٢ ــ التحليل بدون وطء : روي عنه أنه قال : تحل المطلقة ثلاثاً للزوج الأول بمجرد عقد الثاني ، من غير وطء ، فلا يشترط وطؤه في حلها للاول[2] .

لكن قال ابن كثير[3] : وفي صحته عنه نظر ، على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار ، والله أعلم . وروى ابن جرير الطبري عنه ــ أي سعيد بن المسيِّب ــ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها ، قبل أن يدخل بها البتة ، فيتزوجها زوج آخر ، فيطلقها قبل أن يدخل بها ، أترجع الى الأول ؟ قال : « لا ، حتى تذوق عسيلته ، ويذوق عسيلتها » ورواه أيضا أحمد والنسائي ، وابن ماجه . وعقَّب ابن كثير على ذلك فقال : فهذا من رواية سعيد بن المسيِّب عن ابن عمر مرفوعا ، على خلاف ما يحكى عنه ، فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند ، والله أعلم[4] .

٣ ــ عدم استحباب الوضوء للمتوضيء : روي عن سعيد ابن المسيِّب أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء . أي أن

---

(١) ــ المرجع السابق : ص ٦٩ وما بعدها .
(٢) ــ تاريخ الذهبي : ٤/٧ .
(٣) ــ تفسير القرآن العظيم : ١/٢٧٧ .
(٤) ــ يلاحظ أن هاتين المسألتين قد ثبت تفرد ابن المسيب بهما . واما ماذكرته من المسائل الباقية فهو من اختياري بغلبة الظن .

تجديد الوضوء غير مستحب • وعلق على ذلك ابن كثير بقوله : هو غريب عن سعيد ، ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد ، وأما مشروعيته استحباباً فقد دلت السنة على ذلك[1] •

٤ ـ قراءة الجنب القرآن : قال سعيد بن المسيِّب : يقرأ الجنب القرآن ، أليس هو في جوفه ؟ وأجاز له أيضا العبور في المسجد ، وبه أخذ مالك والشافعي وأحمد[2] •

٥ ـ قاتل العمد يرث المقتول : حكي عن سعيد بن المسيِّب وابن جبير والخوارج أن قاتل العمد يرث حقه من المقتول ، لأن آية الميراث تتناوله بعمومها ، فيجب العمل بها فيه • وعلق ابن قدامة الحنبلي عليه فقال : ولا تعويل على هذا القول لشذوذه ، وقيام الدليل على خلافه ، لما روى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا ، فانه لا يرثه ، وان لم يكن له وارث غيره ، وان كان والده أو ولده ، فليس لقاتل ميراث »[3] •

٦ ـ لا يؤكل الجراد اذا مات بغير سبب : روي عن سعيد أنه قال : لا يؤكل الجراد اذا مات بغير سبب • وهو قول مالك وأحمد • ولا فرق في قول عامة أهل العلم في إباحة أكله بين أن يموت بسبب أو بغير سبب[4] •

---

(١) ـ المرجع السابق : ٢٢/٢ ، المغني لابن قدامة : ١٤٣/١ ، ط ثالثة .
(٢) ـ المغني : ١٤٥/١ .
(٣) ـ المغني : ٢٩١/٦ .
(٤) ـ المغني : ٥٧٢/٨ .

وسأشير في الحواشي القادمة الى تمام المسائل العشر التي تفرد بوسا سعيد في تقديري •

رابعا ـ نماذج من فقهه :

ان فقه السلف من الصحابة والتابعين لم يدوّن ولم ينشر في كتب مستقلة ، وانما هو منثور في كتب الفقهاء أتباع المذاهب الفقهية مثل المغني لابن قدامة الحنبلي ، والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى الزيدي ، وبداية المجتهد لابن رشد المالكي •

ولا يخلو باب من أبواب الفقه ، إلا ونجد فيه آراء فقهية لابن المسيِّب ، تابعه فيها بعض أئمة المذاهب ، وخالفه فيها آخرون، وسنذكر بعض الأمثلة على ذلك •

ففي باب الطهارة والمياه : قال : ان الماء دون القلّتين[1] اذا لاقته النجاسة فلم يتغير بها لا ينجس • وهو رأي مالك والأوزاعي والثوري وغيرهم[2] •

وفي الغسل : قال : من غسل ميتاً فليغتسل • وهو قول علي وأبي هريرة وابن سيرين والزهري[3] •

---

(١) ـ القلتان : خمس قرب ، والقلّة : هي الجرة الكبيرة من جرار هجر (قرية قرب المدينة) وتساوي القلتان عشر صفائح ونصف تقريبا أو اناء مكعب طوله وعرضه وعمقه ٥٨ سم •

(٢) ـ المغني : ١/٢٤ •

(٣) ـ المغني : ١/٢١١ •

وفي المسح : أباح المسح على الجورب الصفيق الـذي لا يسقط اذا مشى فيه • وهو قول تسعة من الصحابة ، وجماعة من التابعين[١] •

وفي بحث الحيض : قال : ان الحامل لا تحيض ، وما تراه من الدم فهو دم فساد • وهو قول جمهور التابعين ، وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم[٢] •

وفي الصلاة : قال في حكم القراءة خلف الامام : ان المأموم اذا كان يسمع قراءة الامام ، لم تجب عليه القراءة ، ولا تستحب • وقال : اذا جهر فلا تقرأ ، واذا خافت فاقرأ • وهو قول مالك وأحمد وجماعة من السلف[٣] • وكان لا يرى بأسا على المصلي برد السلام بالكلام أثناء الصلاة • وهو قول الحسن وقتادة ايضا[٤] • واذا علم المصلي أن نجاسة كانت في بدنه أو ثيابه أثناء الصلاة ، لكن جهلها حتى فرغ من الصلاة ، لا تفسد صلاته في رأيه ، وهو قول ابن عمر وجماعة من التابعين أيضا[٥] •

وقال : اذا صلى المصلي وعليه مني ، لم يعد صلاته • وهو

---

(١) — المغني : ٢٩٥/١ •

(٢) — المغني : ٣٦١/١ •

(٣) — المغني : ٥٦٣/١ ، ٥٦٦ •

(٤) — المغني : ٦٠/٢ •

(٥) — المغني : ٦٤/٢ وما بعدها •

مذهب الشافعي وأحمد[1] .

وقال : من أدرك في صلاة الجمعة ركعة مع الامام بسجدتيها، أضاف اليها أخرى ، وكانت له جمعة . وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب[2] . وكان لا يرى بأسا بالاحتباء والامام يخطب يوم الجمعة ، وهو قول جماعة من التابعين[3] .

وفي باب الجنائز : قال : ما مات ميت الا جنب أي أنه يغسل مرة للجنابة ومرة للموت . وبه قال الحسن أيضا . وخالفهما أكثر علماء الامصار ، فقالوا : الحائض والجنب اذا ماتا كغيرهما في الغسل ، لأنهما خرجا من أحكام التكليف[4] .

وقال : ان المسبوق بتكبير الصلاة في الجنازة يقضي مافاته، وهو أيضا قول مالك والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي وجماعة من التابعين[5] .

ورخص في دفن الميت ليلا ، وهو قول الشافعي وأحمد وبعض التابعين[6] .

---

(١) ـ المغني : ٩٢/٢ .
(٢) ـ المغني : ٣١٢/٢ .
(٣) ـ المغني : ٣٢٦/٢ .
(٤) ـ المغني : ٤٦٣/٢ ، وربما كان هذا من غرائب سعيد .
(٥) ـ المغني : ٤٩٥/٢ .
(٦) ـ المغني : ٥٥٥/٢ .

وفي باب الزكاة : قال في الزيادة عن النصاب : لا شيء في زيادة الدراهم حتى تبلغ أربعين ، ولا في زيادة الدنانير حتى تبلغ أربعة دنانير . وهو قول ابي حنيفة[1] .

وقال : لا تجب الزكاة في أموال الصبي والمجنون ، وهو قول أبي حنيفة وجماعة من التابعين[2] .

وفي باب الصوم : قال : ان صوم التطوع يجوز بنية من النهار . وهو قول أبي حنيفة وأحمد وجماعة من الصحابة والتابعين[3] . قال رجل لسعيد بن المسيِّب : اني لم آكل الى الظهر أو الى العصر ، أفأ صوم بقية يومي ؟ قال : نعم . وقال : الأفضل الفطر في السفر . وهو قول أحمد وبعض الصحابة وبعض التابعين[4] .

وفي باب الحج : قال فيمن جامع امرأته وهما محرمان : يجب عليهما اتمام الحج ، والقضاء من العام القادم ، والتفرق حتى التحلل عند المكان الذي وقع فيه الجماع[5] .

وفي البيع : قال : لا بأس بالعربون ، اذا كره السلعة أن يردها ويرد معها شيئا . وهو قول أحمد ، وابن سيرين وابن

---

(١) ــ المغني : ٦/٣ .
(٢) ــ المغني : ٦٢٢/٢ .
(٣) ــ المغني : ٩٦/٣ .
(٤) ــ المغني : ١٥٠/٣
(٥) ــ المغني : ٣٦٦/٣ .

عمر أيضا[1] .

وفي القرض : قال : اذا أقرض رجل غيره مطلقا من غير شرط ، فقضاه خيرا منه في القدر ، أو الصفة ، أو دونه برضاهما ، جاز . وهو قول ابن عمر والشافعي وجماعة من التابعين[2] .

وفي الميراث : ورّث الخال مع البنت . وهو قول عمر بن عبد العزيز أيضا ، قال ابن قدامة : يحتمل أنهما ورثاه لكونه عصبة أو مولى نعمة ، لئلا يخالف الاجماع ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الخال وارث من لا وارث له[3] » .

وقال أيضا : لا يرث الاسير الذي مع الكفار اذا علمت حياته ، لأنه عبد . وهو مخالف لقول عامة الفقهاء[4] .

وقال : يرث المسلم من الكافر ، ولا يرث الكافر من المسلم. وهو قول بعض التابعين أيضا . قال ابن قدامة : وليس بموثوق به عنهم ، فان أحمد قال : ليس بين الناس اختلاف في أن المسلم لا يرث الكافر[5] .

وقال : اذا مات المرتد او قتل على ردته ، فماله لورثته من المسلمين ، وبه قال أهل العراق وجماعة[6] .

---

(١) ـ المغني : ٢٣٣/٤ .
(٢) ـ المغني : ٣٢١/٤ .
(٣) ـ المغني : ٢٣٦/٦ .
(٤) ـ المغني : ٢٦٧/٦ ، ويحتمل أن تكون هاتان المسألتان في الميراث مما تفرد بـه ابن المسيب من رأي .
(٥) ـ المغني : ٢٩٤/٦ ، وربما تكون هذه مسألة أخرى من غرائب سعيد .
(٦) ـ المغني : ٣٠٠/٦ .

وفي النكاح : قال : لا يصح النكاح الا بولي ، ولا تملك المرأة تزويج نفسها ولا غيرها ، ولا توكيل غير وليها في تزويجها ، فان فعلت لم يصح النكاح[1] .

وفي الرضاع : رخص في لبن الفحل ، لأن الرضاع من المرأة، لا من الرجل . وهو قول بعض التابعين . وصورة لبن الفحل : أن يكون للرجل امرأتان ، فترضع هذه صبية ، وهذه صبيا ، قال فقهاء الامصار بالحجاز والعراق والشام وجماعة أهل الحديث وأصحاب الرأي وأئمة المذاهب : لا يزوج هذا من هذا[2] .

وفي الخلع : قال في عوضه : ما أرى أن يأخذ كل مالها ، ولكن ليدع لها شيئا[3] .

وفي الطلاق : قال : اذا عقل الصبي الطلاق ، فطلق ، لزمه . وهو قول أحمد في أكثر الروايات عنه ، وبعض التابعين[4] .

وقال : « اذا قال الرجل لزوجته : أنت علي حرام : تلزمه كفارة يمين . وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير ، وأحمد في رواية عنه[5] » .

---

(١) ـ المغني ٦/٤٤٩ .

(٢) ـ المغني : ٦/٥٧٢ . وربما يكون هذا الرأي من غرائب ابن المسيب .

(٣) ـ المغني : ٧/٥٣ .

(٤) ـ المغني : ٧/١١٦ .

(٥) ـ المغني : ٧/١٥٤ .

وفي الايلاء : قال : ليس على الزوج المولي شيء حتى يمضي أربعة أشهر فيوقف ، فان فاء ، والا طلق . وبه قال مالك والشافعي وبعض التابعين[1] .

وفي الظهار : ان أفطر المظاهر في أثناء صيامه الشهرين المتتابعين كفارة الظهار لمرض مخوف ، لم ينقطع التتابع . وبه قال مالك وبعض الفقهاء[2] .

وفي اللعان : قال : يصح من كل زوجين مكلفين ، سواء أكانا مسلمين أو كافرين ، أو عدلين ، أو فاسقين ، أو محدودين في قذف ، أو كان أحدهما كذلك . وبه قال مالك وبعض الفقهاء[3] .

وفي حد القذف : قال : لو قذف الرجل امرأة أجنبية ـ غير زوجته ـ ثم تزوجها ، فعليه الحد ، ولا يلاعِن ، لأنه وجب الحد عليه في حال كونها أجنبية عنه ، فلم يملك اللعان من أجله ، كما لو لم يتزوجها . وان قذفها بعد تزوجها بزنى اضافة الى ما قبل النكاح ، حُدّ ولم يلاعن أيضا ، سواء كان ثَمّ ولد ، أو لم يكن . وهو قول مالك وأبي ثور[4] .

---

(۱) ـ المغني : ۳۱۸/۷ .

(۲) ـ المغني : ۳٦٥/۷ .

(۳) ـ المغني : ۳۹۲/۷ .

(٤) ـ المغني : ٤۰۲/۷ .

وفي العدة : قال : القرء : الحيضة . وهو قول أصحاب الرأي وبعض الصحابة[1] وقال : ليس للمعتدة من الوفاة أن تخرج الى الحج ولا الى غيره . وبه قال عمر وعثمان ، ومالك والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي[2] .

وقال : تجب العدة على المرأة المسافرة من يوم الموت أو الطلاق ان قامت بذلك بينه ، والا فعدتها من يوم يأتيها الخبر . وبه قال عمر بن عبد العزيز ، وأحمد[3] .

وفي النفقة قال : اذا منع الرجل امرأته النفقة لعسرته ، وعدم ما ينفقه ، فالمرأة مخيرة بين الصبر عليه ، وبين فراقه . وبه قال جمهور الصحابة وأئمة المذاهب غير أبي حنيفة وصاحبيه[4] .

وفي الجنايات : قال : يقتل الجماعة بالواحد أي أن الجماعة اذا قتلوا واحدا ، فعلى كل واحد منهم القصاص، اذا كان كل واحد منهم لو انفرد بفعله وجب عليه القصاص . وبه قال جمهور الفقهاء[5] .

وفي الديات : قال : تساوي جراح المرأة جراح الرجل الى ثلث الدية ، فان جاوز الثلث فعلى النصف من دية الرجل .

---

(١) ــ المغني : ٧/٤٥٢ .
(٢) ــ المغني : ٧/٥٣١ .
(٣) ــ المغني : ٧/٥٣٤ .
(٤) ــ المغني : ٧/٥٧٣ .
(٥) ــ المغني : ٧/٦٧١ .

وبه قال فقهاء المدينة السبعة وجمهور أهل المدينة ومالك[1] .

وفي جريمة المحاربة : سئل عن قطع الدراهم[2] ، فقال : هو من الفساد في الأرض[3] .

وفي التنفيل قال : إذا أعطي المجاهد شيئا يستعين به في الجهاد ، فان أعطي لغزوة بعينها ، فما فضل بعد الغزو ، فهو له . وبه قال مجاهد وعطاء وأحمد[4] .

وكان سعيد بن المسيِّب ومالك يقولان : لا نَفَل الا من الخمس[5] أي من خمس الغنائم المخصص للمصالح العامة ، لا من اربعة الاخماس المستحقة للغانمين .

وفي الاطعمة : قال : من اضطر فأصاب الميتة وخبزا لا يعرف مالكه أكل الميتة ، لأن حقوق الله مبنية على المسامحة والمساهلة ، وحقوق الآدمي مبنية على الشح والتضييق ، ولأن حق الآدمي تلزمه غرامته ، وحق الله لا عوض له . وهو قول زيد بن أسلم والحنابلة[6] .

وقال : أكل الضبع حرام ، لأنها من السباع ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي ناب من السباع ، وهي

---

(١) ــ المغني ٧/٧٩٧ .

(٢) ــ أي قطع الطريق من أجل سرقة دراهم محدودة .

(٣) ــ طبقات ابن سعد : ٥/١٣٥ ، ١٣٧ .

(٤) ــ المغني : ٨/٣٧٠ .

(٥) ــ المغني : ٨/٣٧٩ . والنفل : زيادة تزاد على سهم المجاهد .

(٦) ــ المغني : ٨/٦٠٠ .

من السباع . وهو قول مالك وأبي حنيفة والثوري[1] .

وفي الاضحية : قال : انها سنة مؤكدة غير واجبة ، وهو قول أكثر أهل العلم . ومن أراد أن يضحي ، فدخل عشر ذي الحجة ، حرم عليه قص شعره أو أظفاره[2] .

وفي السبق : قال : من قال : ان سبقتني فلك عليّ عشرة ، ولي عليك كذا ، لم يجز ، لأن كل واحد لا يخلو من أن يغنم أو يغرم . فان كانت جائزة السباق من شخص ثالث جاز أخذها . وبه قال الاوزاعي وأصحاب الرأي وغيرهم[3] .

وفي اليمين : قال : اليمين الغموس ــ وهي الكاذبة قصدا ــ : هي من الكبائر ، وهي أعظم من أن تكفَّر . وهو قول الحنفية والحنابلة والمالكية وغيرهم[4] .

وفي الشهادات : قال : لا يقبل فيما سوى الاموال (أي الحقوق المدنية) مما يطلع عليه الرجال أقل من شهادة رجلين . وهذا يشمل العقوبات وهي الحدود والقصاص .

وما ليس بعقوبة وهي الاحوال الشخصية من نكاح ورجعة وطلاق وايلاء وظهار[5] ونسب وتوكيل ووصية ، لا يقبل فيه

---

(١) ــ المغني : ٨/٦٠٤ .
(٢) ــ المغني : ٨/٦١٧ وما بعدها .
(٣) ــ المغني : ٨/٦٥٨ .
(٤) ــ المغني : ٨/٦٨٦ .
(٥) ــ الظهار : قول الرجل لامرأته : أنت علي كظهر امي اي أنه يشبهها بها في الحرمة ، فتجب عليه كفارة الظهار .

الا شهادة رجلين ، ولا تقبل فيه شهادة النساء بحال • وهو أيضا قول مالك والشافعي واحمد وجماعة من التابعين[1] •

وأجاز شهادة الكفار من أهل الكتاب في الوصية في السفر اذا لم يكن غيرهم • وهو قول الحنابلة والاوزاعي وبعض التابعين[2] •

وفي اللعب والملاهي : حرم الشطرنج كالنرد • وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد[3] وأباح الغناء الذي لا منكر فيه ولا طعن ، لقول عمر : « الغناء زاد الركب » وهو قول كثير من أهل المدينة[4] •

هذه أمثلة من فقه سعيد بن المسيّب ، لاحظنا منها أن الامام مالك يتبنى أغلبها ، وأن بعضها يعتمد على الاثر والسنة ، وبعضها يعتمد على الرأي •

---

(1) المغني : ٩/١٤٨ وما بعدها •

(2) ـ المغني : ٩/١٨٢ •

(3) ـ المغني : ٩/١٧١ •

(4) ـ المغني : ٩/١٧٥ •

الفصل الرابع

موقفه من الحكام

كان سعيد جريئا في الفتوى ، وفي نقد الحكام ، وانكار المنكر ، لايخشى في الله لومة لائم ، ولا يبالي بسيطرة حاكم أو تعذيب أمير ظالم . وكل همه أن يرضى لله ، ويغضب ويزأر في وجه الظلمة لله ، ولا يقبل عطايا الحكام ، ويرفض قبض نصيبه من بيت المال من الخراج ، حتى لا تستكين نفسه ، أو يبيع ضميره ، أو يسكت عما يراه حقا ، أو يتغاضى عما يراه منكرا . وكان يقول : « لاتملأوا أعينكم من أعوان الظلمة ، الا بانكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة[1] » . ويعتزل في المسجد أثناء الفتن والاحداث ، ويعتكف الى العبادة ويضرع بالدعاء حتى يفرج الله تعالى الكرب ، ويزيل الهم والغم .

---

(١) ـ حلية الاولياء : ١٧٠/٢ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، وفيات الاعيان : ٣٧٨/٢ .

قال ابن الجوزي : « ماأعرف للعالم قط لذة ولا عزا ، ولا شرفا ولا راحة ، ولا سلامة أفضل من العزلة ، فانه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق ، لأن الخلق يهون عليهم من يخالطهم ، ولا يعظم عندهم قول المخالط لهم[1] » . لهذا كان سعيد جليلا مهيبا في أعين الخلفاء ، ذا جلد وصبر كالجبال في نظر الامراء ، لا يبالي بحبس وضرب وتشهير .

آ ـ نقده بني مروان :

قال المطلب بن السائب : كنت جالسا مع سعيد بن المسيِّب بالسوق ، فمر بريد لبني مروان ، فقال له سعيد : مِنْ رسل بني مروان أنت ؟ قال : نعم ، قال : فكيف تركتهم ؟ قال : بخير ، قال : تركتهم يجيعون الناس ، ويشبعون الكلاب ، قال : فاشرأبّ الرسول ، فقمت اليه ، فلم أزل أرجيه ، حتى انطلق . ثم قلت لسعيد : يغفر الله لك ، تشيط بدمك بالكلمة هكذا تلقيها ، قال : اسكت ياأحيمق ، فوالله لا يسلمني الله ، ماأخذت بحقوقه[2] .

ب ـ انكاره على معاوية :

عن ابن حرملة قال : ما سمعت سعيد بن المسيِّب سب أحدا من الأئمة قط ، الا أني سمعته يقول : قاتل الله فلانا ، كان أول

---

(١) ـ صيد الخاطر : ٢/٣٢٥ .
(٢) ـ تاريخ الذهبي : ٤/٦ ، تذكرة الحفاظ : ١/٥٥ : تهذيب التهذيب : ٤/٨٥

من غير قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر[1] » وذلك أنه استلحق سنة ٤٤ هـ بنسبه زيادا ، فصار يدعى « زياد بن أبي سفيان » ، بعد أن كان يدعى « زياد بن أبيه » . وهذا الاستلحاق غير صحيح في رأي سعيد بن المسيِّب ، ورأي غيره من الصحابة والتابعين ، اذ لا يثبت النسب بقول واحد ـ وهو الابن ـ على أبيه ، ما لم يصدقه أبوه في ذلك ، وكان أبو سفيان حينذاك ميتا اذ مات سنة ٣٣ هـ في خلافة عثمان .

ودافع ابن العربي عن معاوية في هـذا الاستلحاق ، اذ أن أبا سفيان اعترف لعلي بن أبي طالب بأبوته لزياد ، فكان استلحاق زياد لأشياء صحيحة ، وعمل مستقيم ، وقد قال الامام مالك : ان الأخ اذا استلحق أخا يقول : هو ابن أبي ، ولم يكن له منازع ، بل كان وحده : يرث ، ولا يثبت النسب . وقال الشافعي ـ في احد القولين ـ يثبت النسب ويأخذ المال . هذا اذا كان المقَر به غير معروف النسب . والحارث بن كلدة ـ مالك الجارية سمية التي ولد منها زياد ـ لم يدّع زيادا ولا كان اليه منسوبا ، وانما كان ابن أمته ولد على فراشه ـ أي في داره ـ فكل من ادّعاه فهو له ، الا أن يعارضه من هو أولى به منه ، فلم يكن على معاوية في ذلك مغمز ، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك . ثم ان هـذه

---

(١) ـ حلية الاولياء : ١٦٧/٢ .

المسألة موضع خلاف بين العلماء ، وحكم القاضي في مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها(١) .

ج ـ موقف له مع الحجاج :

قال علي بن زيد بن جدعان : قيل لسعيد بن المسيّب : ما شأن الحجاج لا يبعث اليك ، ولا يهيجك ، ولا يؤذيك ، قال : ما أدري ، غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة ، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفا من حصباء ، فحصبته بها . قال الحجاج : فمازلت بعد ذلك أحسن الصلاة(٢) .

د ـ صموده امام والي المدينة : جابر بن الاسود بن عوف الزهري :

لم يكن سعيد راضيا على حكم بني مروان في الشام ، ولا على خلافة عبد الله بن الزبير في الحجاز ، لتخلي بني أمية عن مبدأ الشورى في الاسلام واصراره البيعة على سيرة ابي بكر وعمر ، ولعدم استكمال البيعة من أولي الحل والعقد والمسلمين لابن الزبير ، فضرب وعذب وسجن من أمراء المدينة ، لنصرة من ولوهم عليها . ويتبين ذلك مما يأتي :

استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الاسود بن عوف الزهري على المدينة ، فدعا الناس الى البيعة لابن الزبير ، فقال

(١) ـ العواصم من القواصم لابي بكر بن العربي : ص ٢٣٥ ـ ٢٤٢ .
(٢) ـ حلية الاولياء : ١٦٥/٢ ، طبقات ابن سعد : ١٢٩/٥ .

سعيد بن المسيِّب : لا ، حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطا • فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب الى جابر يلومه ، ويقول : ما لنا ولسعيد ، دَعْه [1] •

وأنكر منكرا على جابر هذا : عن عبد الواحد بن أبي عون قال : كان جابر بن الاسود ، وهو عامل ابن الزبير على المدينة ، قد تزوج الخامسة قبل أن تنقضي عدة الرابعة ، فلما ضرب سعيد بن المسيِّب ، صاح به سعيد ، والسياط تأخذه : والله ما رَبَعتَ [2] على كتاب الله ، يقول الله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع [3] » وانك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة • وما هي الا ليال ، فاصنع ما بدا لك ، فسوف يأتيك ما تكره • فما مكث الا يسيرا حتى قتل ابن الزبير [4] •

وأعلن سعيد صراحة عدم محبته لكل من بني أمية وابن الزبير : عن الحكم بن اسحاق قال : كنت جالسا الى سعيد بن المسيِّب فقال لمولى له : اتق الله ، لا تكذب عليّ كما كذب

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٢/٥ ، المعارف : ص ٤٣٧ ، البداية والنهاية : ٦٠/٩ •

(٢) ـ يقال : اربَع عليك أو على نفسك أو على ظلعك : أي توقف . ورَبَع : توقف وانتظر •

(٣) ـ الآية ٣ من سورة النساء •

(٤) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٣/٥ •

مولى ابن عباس (عكرمة) على ابن عباس. فقلت لمولاه : ذاك أني لا أدري ابن الزبير أحب الى أبي محمد ، أو أهل الشام ؟!
قام : فسمعها سعيد ، فقال : ياعراقي ، أيهما أحب اليك ؟ قلت : ابن الزبير أحب اليّ من أهل الشام . قال : أفلا أضبث بك الآن ، فأقول : هذا زبيري ؟ فقلت : سألتني ، فأخبرتك ، فأخبرني أيهما أحب اليك ؟ قال : كلاّ ، لا أحب[1] » .

هـ ـ اعتزاله في عهد يزيد :

لم تشهد المدينة بعد فتنة عثمان أشد ولا أرهب من يوم موقعة الحرة المؤلمة الفظيعة سنة ٦٣ هـ ، التي حدثت على باب طيبة ، عندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية عن الخلافة[2] بسبب اسرافه في المعاصي ، فأرسل اليهم جيشا كثيفا وأمر جنوده بقتالهم ثم المسير الى مكة لقتال ابن الزبير ، فحدثت هذه الموقعة بين جنود يزيد وأهل المدينة . ذكرها الحسن مرة ، فقال : والله ما كاد ينجو منهم أحد ، قتل فيها خلق من الصحابة رضي

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٥/٥ .

(٢) ـ منع أهل السنة من لعن يزيد لئلا يجعل لعنه وسيلة الى أبيه أو احد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على انه تأول واخطأ ، وقالوا : انه كان مع ذلك اماما فاسقا ، والامام اذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من اثارة الفتنة ، ووقوع الهرج ، وسفك الدماء الحرام ، ونهب الاموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه . (البداية والنهاية لابن كثير : ٢٢٣/٨) .

الله عنهم ومن غيرهم ، ونهبت المدينة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال صلى الله عليه وسلم : من أخاف أهل المدينة ، أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1] . وأخرج الرُّوياني في مسنده عن أبي الدرداء ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية ، يقال له : يزيد[2] .

وترى سعيد بن المسيِّب في هذه الموقعة والفتن المظلمة يلجأ الى صلاة الجماعة تاركا الفتنة ، ويختار جوار بيت الله تعالى ، إذ لا فائدة من الخوض في فتنة لارجاء للاصلاح فيها ، ولا سبيل للدفاع عن دين الله ، ونصرة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحماية أصحابه : عن عبد الحميد بن سليمان[3] عن أبي حازم قال : سمعت سعيد بن المسيِّب يقول : لقد رأيتني ليالي الحرَّة ، وما في المسجد أحد من خلق الله غيري ، وإن أهل الشام ليدخلون زُمَراً زُمَراً يقولون : انظروا الى هذا الشيخ المجنون ، وما يأتي وقت صلاة الا سمعت أذاناً في القبر ، ثم تقدمت فأقمتُ فصليت ، وما في المسجد أحد غيري[4] .

وعن طلحة بن محمد بن سعيد عن أبيه قال : كان سعيد بن المسيِّب أيام الحرة في المسجد ، لم يبايع ولم يبرح إلا ليلاً الى

---

(١) ـ رواه مسلم .

(٢) ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ، البداية والنهاية : ٢١٧/٨ ـ ٢٢٤ .

(٣) ـ قال الذهبي : عبد الحميد ليس بثقة (تاريخ الذهبي : ٧/٤) .

(٤) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٢/٥ ، تاريخ الذهبي ، المكان السابق .

الليل . قـال : فكنت اذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج مـن القبر ، حتى أمن الناس ، وما رأيت خيراً من الجماعة[1] .

وقال المدائني بمناسبة وقعة الحـرة : جيء الى مسلم[2] بسعيد بن المسيّب فقال له : بايع . فقال : أبايع على سيرة أبي بكر وعمر ، فأمر بضرب عنقه ، فشهد له رجل : أنه مجنون ، فخلّى سبيله[3] .

قال مصعب بن عبد الله ، حدثني مصعب بن عثمان : أن الذي شهد لسعيد بن المسيّب حين أراد مسلم بن عقبة قتله : عمرو بن عثمان ، ومروان بن الحكم ، شهدا أنه مجنون ، فخلى سبيله[4].

أي ثبات بعد هذا ؟ ثبات حين خوف الناس ، وثقـة بالله وبسلامة خطة السير حين الهلع ، وحرص على الجماعة حين الفزع.

و ـ موافقه مع عبد الملك بن مروان :

ـ تكرر احتكاك سعيد بن المسيّب مع الخليفة عبد الملك ابن مروان ، فقد طلب منه ابنته لابنه الوليد ، فرفض تزويجه بها ،

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٢/٥ .

(٢) ـ هو مسلم بن عقبة قائد جيش يزيد بن معاوية في وقعة الحرة الـذي سار لاهل المدينة ، فانتهبت ثلاثة أيام يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجةسنة ثلاث وستين ، وقتل فيها عشرة آلاف ، منهم سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والانصار (البداية والنهايـة : ٢٢١/٨) .

(٣) ـ البداية والنهايـة : ٢٢١/٨ .

(٤) ـ تذكرة الحفاظ للذهبي : ٥٦/١ .

وزوجها لطالب علم فقير هو كثيّر بن أبي وداعة ، كما ذكرنا سابقـا .

ـ ورفض سعيد مجالسة عبد الملك لانحرافه عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قائلا لرسوله : لست من حدّاثه[1] : عن ميمون بن مهران ، قال : ان عبد الملك بن مروان قدم المدينة ، فاستيقظ من قائلته[2] ، فقال لحاجبه : انظر ، هل ترى في المسجد أحدا من حدّاثي ، فلم ير فيه الا سعيد بن المسيّب ، فأشار اليه بأصبعه ، فلم يتحرك سعيد ، ثم اتاه الحاجب ، فقال : ألم تـر أني أشير اليك ، قال : وما حاجتك ؟ فقال : استيقظ أمير المؤمنين ، فقال : انظر ، هل ترى في المسجد أحدا من حداثي ، فقال سعيد : لست من حدّاثه . فخرج الحاجب ، فقال : ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت اليه ، فلم يقـم ، قلت له : ان أمـير المؤمنين استيقظ ، وقال لي : انظر هل ترى أحدا من حداثي ، قال : اني لست من حداث أمير المؤمنين . قال عبد الملك بن مروان : ذلـك سعيد بن المسيّب ، دعه[3] .

ـ وتمتد حبائل الترغيب والترهيب التي يملكها السلطان ليروّض كبـار النفوس ، ويشتري الضمائر ، وذوي القـدرات

---

(1) ـ الحـداث : الجماعة يتحدثون .

(2) ـ القائلة : الظهيرة . وقـد يكون بمعنى القيلولـة أيضا : وهـي النوم فـي الظهـيرة .

(3) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦٩ ، طبقات ابن سعد : ٥/١٣٠ .

العالية ، والأخلاق الرصينة ، ويبادر الخليفة عبد الملك بن مروان الى هذه الوسائل الرخيصة مع فقيه الفقهاء سعيد بن المسيِّب ، فتراه أشد الناس ترفعاً عن الرغبة في شيء ، وأمنعهم عن الرهبة من شيء ، وأصلبهم في الوقوف على حدود الله ، حتى يقلع الحكام عن سياستهم ، ويلتزموا بأحكام الاسلام الرشيدة : عن عمران بن عبد الله الخزاعي قال : حج عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة ، فوقف على باب المسجد أرسل الى سعيد بن المسيِّب رجلا يدعوه ولا يحركه . قال : فأتاه الرسول ، وقال : أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك . فقال: مالأمير المؤمنين إليَّ حاجة، ومالي اليه حاجة، وان حاجته اليَّ لغيرُ مقضيَّة ، قال: فرجع الرسول اليه، فأخبره، فقال: ارجع اليه فقل: انما أريد أن أكلمك، ولا تحركه . قال: فرجع اليه ، فقال له : أجِبْ أمير المؤمنين ، فقال له سعيد ما قال له أولا . قال : فقال له الرسول : لولا أنه تقدم اليَّ فيك ماذهبت اليه الا برأسك ، يرسل اليك أمير المؤمنين يكلمك ، تقول مثل هذه المقالة ؟ فقال : ان كان يريد أن يصنع بي خيرا فهو لك ، وان كان يريد غير ذلك فلا أحلّ حبوتي[1] حتى يقضي ما هو قاض . فأتاه فأخبره ، فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى إلا صلابة[2] .

---

(١) ـ الحبوة : ما يحتبى بـه اي يشتمل به من ثوب او عمامـة .

(٢) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٩/٥ .

امتناعه عن البيعة بولاية العهد لاثنين بعد عبد الملك :

يلتزم سعيد سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيمتنع عن مخالفة أي حكم منها ، واذا كان النبي قد نهى عن البيعة لاثنين ، فلا بد من تنفيذ ذلك ، مهما كلفه الامتناع من ثمن باهظ . قال عمران بن عبد الله : دعي سعيد للبيعة للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان . قال : فقال : لا أبايع لاثنين ما اختلف الليل والنهار . قال : فقيل : ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر ، قال : والله لا يقتدي بي أحد من الناس . قال : فجلده مائة ، وألبسه المسوح[1] .

وقال عبد الرحمن بن عبد القارىء لسعيد بن المسيّب ، حين قدمت البيعة للوليد وسليمان بالمدينة من بعد أبيهما : إني مشير عليك بخصال ثلاث ، قال : وما هي ؟ قال : تعتزل مقامك ، فانك هو وحيث يراك هشام بن اسماعيل ـ والي المدينة ـ قال : ما كنت لأغيّر مقاما قمته منذ أربعين سنة . قال : تخرج معتمرا ؟ قال : ما كنت لأنفق مالي ، وأجهد بدني في شيء ليس لي فيه نية . قال : فما الثالثة ؟ قال : تبايع . قال : أرأيت ان كان الله أعمى قلبك ، كما أعمى بصرك . قال : فما علي !! ـ وكان أعمى ـ .

قال رجاء بن جميل الأيلي : فدعاه هشام الى البيعة ، فأبى ، فكتب فيه الى عبد الملك ، فكتب اليه عبد الملك : مالك ولسعيد ،

(١) ـ المسوح جمع مِسْح : وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفا وقهرا للجسد .

ما كان علينا منه شيء نكرهه ، فأما اذا فعلت ، فاضربه ثلاثين سوطا ، وألبسه تبّان[1] شعر ، وأوقفه للناس لئلا يقتدي به الناس .

فدعاه هشام ، فأبى ، وقال : لا أبايع لاثنين ، قال : فضربه ثلاثين سوطا ، وألبسه تبّان شعر ، وأوقفه للناس .

قال رجاء بن جميل الأيلي : حدثني الأيليون الذين كانوا في الشُرَط[2] بالمدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس التبان طائعا ؛ قلنا له : يا أبا محمد ، انه القتل ، فاستر عورتك ، قال : فلبسه ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجلة أهل أيلة لولا أني ظننت القتل ما لبسته[3] .

وتتكرر الوساطة من فقهاء المدينة مع سعيد لمحاولة اقناعه بالبيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك ، خشية عليه ، وصونا له من التعذيب والاهانة والتشهير ، فتبوء كل المحاولات بالفشل ، ولم تفلح كل الحيل والمساومات عن التنازل عن موقفه :

قال يحيى بن سعيد : كتب والي المدينة ـ هشام بن اسماعيل ـ الى عبد الملك بن مروان : أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة

---

(١) ـ التبّان : سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلّظة .
(٢) الشرط : رجال الامن المعروفون ، سموا بذلك لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها . والواحد : شرطة وشرطي .
(٣) ـ حلية الاولياء : ٢/١٧٠ وما بعدها ، طبقات ابن سعد : ٥/١٢٦ وما بعدها ، البداية والنهاية : ٩/٦٠ .

للوليد وسليمان الا سعيد بن المسيّب ، فكتب أن اعرضه على السيف ، فان مضى ، والا فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة . فلما قدم الكتاب على الوالي ، دخل سليمان بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد الله ، على سعيد بن المسيّب ، فقالوا : انا قد جئناك في أمر قد قدم فيك كتاب من عبد الملك بن مروان ، إن لم تبايع ضربت عنقك . ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثا ، فأعطنا إحداهن فان الوالي قد قبل منك :

١ً ــ أن يقرأ عليك الكتاب ، فلا تقل : لا ، ولا نعم . قال : فيقول الناس : بايع سعيد بن المسيّب ، ما أنا بفاعل . قال : وكان اذا قال : لا ، لم يطيقوا عليه أن يقول : نعم . قال : فمضت واحدة ، وبقيت اثنتان .

٢ً ــ قالوا : فتجلس في بيتك ، فلا تخرج الى الصلاة أياما ، فانه يقبل منك اذا طلبت في مجلسك فلم يجدك . قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذني : حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، ما أنا بفاعل . قالوا : مضت اثنتان ، وبقيت واحدة .

٣ً ــ قالوا : فانتقل من مجلسك الى غيره ، فانه يرسل الى مجلسك ، فان لم يجدك ، أمسك عنك ، قال : فَرَقا[1] لمخلوق؟! ما أنا بمتقدم لذلك شبراً ، ولا متأخر شبراً .

---

(١) ــ الفَرَق : الخوف .

فخرجوا ، وخرج الى الصلاة ـ صلاة الظهر ـ فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي بعث اليه ، فأتي بـه ، فقال : ان أمير المؤمنين كتب يأمرنا ، ان لم تبايع ضربنا عنقك ، قـال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين ، فلما رآه لا يجيب ، أخرج الى السدّة ، فمدت عنقه ، وسلّت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضى ، أمر به ، فجرد فاذا عليه تبّان شعر . فقال : لو علمت أني لا أقتل ، ما اشتهرت بهذا التبان ، فضربه خمسين سوطا ، ثم طاف بـه أسواق المدينة ، فلما رده والناس منصرفون من صلاة العصر ، قال : ان هذه لوجوه مـا نظرت اليها منذ أربعين سنة[1] .

الآثار الادبية لهذه المحنة :

١ ـ الشماتـة :

قال محمد بن القاسم : وسمعت شيخنا يزيد في حديث سعيد باسناد لا أحفظه : ان سعيداً لما جُرِّد ليضرب . قالت له امرأة : ان هـذا لمقام الخزي . فقال لها سعيد :

من مقام الخزي فررنا [2] .

---

(١) ـ حلية الاولياء : ١٧١/٢ وما بعدها ، طبقات ابن سعد : ١٢٧/٥ وما بعدها ، وفيات الاعيان : ٣٧٧/٢ ، شذرات الذهب : ١٠٣/١ ، تهذيب التهذيب : ٨٧/٤ ، تاريخ الذهبي : ٥/٤ ، المعارف : ص ٤٣٧ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .

(٢) ـ المراجـع السابقة .

٢ ـ منع الناس من مجالسته :

جلس عبد الله بن القاسم الى سعيد بن المسيِّب ، فقال له : انه قـد نهي عن مجالستي ، قال : قلت : اني رجل غريب ، قال : انما أحببت أن أعلمك •

وكذلك قال لآخر : هو العلاء بن عبد الكريم •

وقال قتادة : انه كان اذا اراد الرجل أن يجالسه قال : انهم قد جلدوني ، ومنعوا الناس أن يجالسوني[١] •

وعن أبي يونس القَزّي قال : دخلت مسجد المدينة ، فاذا سعيد جالس وحده ، فقلت : ما شأنه ؟ قال : نهي أن يجالسه أحـد[٢] •

٣ ـ انتصاره في النهاية على الظلمة ونجاته من المحنة :

لقد ندم الحكام على صنيعهم ، ولام الخليفة واليه على ما فعل بابن المسيِّب ، وتم اخـلاء سبيله من السجن من قبل والي المدينة الذي جلده وسجنه •

ـ بعد أن قام هشام بن اسماعيل المخزومي والي المدينة في عهد عبد الملك بضرب ابن المسيِّب ، رده الى السجن وحبسه ، وكتب الى عبد الملك يخبره بخلافه ، وما كان من أمره ، فكتب اليه عبد الملك يلومه فيما صنع بـه ، ويقول : سعيد كان والله

---

(١) ـ حلية الاولياء : ١٧٢/٢ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ •

(٢) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٨/٥ ، تاريخ الذهبي : ٦/٤ ، تذكرة الحفاظ : ٥٦/١ •

أحوج الى أن تصل رحمه ، من أن تضربه ، وانا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف[1] .

ـ ودخل قبيصة بن ذُؤيب على عبد الملك بن مروان بكتاب هشام بن اسماعيل يذكر أنه ضرب سعيداً ، وطاف به ، قال قبيصة : يا أمير المؤمنين يفتات عليك هشام بمثل هذا ، يضرب ابن المسيِّب ويطوف به ، والله لا يكون سعيد أبدا أمحل[2] ولا ألج منه حين يُضرَب ، سعيد لو لم يبايع ما كان يكون منه ، ما سعيد ممن يُخاف فتقه ، ولا غوائله على الاسلام وأهله ، وانه لمن أهل الجماعة والسنة . وقال قبيصة : اكتب اليه يا أمير المؤمنين في ذلك . فقال عبد الملك : اكتب أنت اليه عنك تخبره برأيي فيه ، وما خالفني من ضرب هشام إياه . فكتب قبيصة الى سعيد بذلك ، فقال سعيد حين قرأ الكتاب : الله بيني وبين من ظلمني[3] .

ـ ودخل على سعيد بن المسيِّب السجن أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فجعل يكلم سعيداً ويقول له : انك خَرِقت[4] به ، فقال : يا أبا بكر ، اتقِ الله وآثِره على ما سواه . قال : فجعل أبو بكر يردد عليه : انك خرقت به ولم ترفق . فجعل سعيد يقول : انك والله أعمى البصر ، أعمى القلب.

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٦/٥ ، تاريخ الذهبي ، المكان السابق .
(٢) ـ المماحلة : المكايدة والماكرة. وامْحل وماحِل : خصم مجادل مُصَدَّق.
(٣) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٦/٥ .
(٤) ـ خَرِق : حمق ، لم يحسن عمله فهو اخرق . والخرق : ضعف الراي، وسوء التصرف ، والجهل والحمق ، والمراد : قسوت عليه ، أي على الخليفة هنا .

قال : فخرج ابو بكر من عنده ، وأرسل اليه هشام بن اسماعيل ، فقال : هل لان سعيد بن المسيِّب منذ ضربناه ؟ فقال ابو بكر : والله ، ما كان أشد لسانا منه منذ فعلت به ما فعلت ، فاكفف عن الرجل •

وجاء هشام بن اسماعيل كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه في ضربه سعيد بن المسيب ، ويقول : ماضرك لو تركت سعيدا ووطئت ما قال ؟ ! •

وندم هشام بن اسماعيل على ما صنع بسعيد ، فخلى سبيله[1] • أجل ! انها صلابة الرجال الاشداء ، وصرامة المؤمنين بحق ، الذين لا تزعزعهم الرياح الهوج ، ولا تحركهم قيد أنملة ، او تحولهم عن المبدأ الذي آمنوا به مهما لاقوا من عذاب ، او تعرضوا لنقمة ومحن شديدة • وهكذا صبر الانبياء على الاذى ، وسار على دربهم — درب الجهاد والنضال في سبيل الله — ورثتهم العلماء المخلصون ، الذين لا يعكر اخلاصهم وايمانهم رذاذ من حطام الدنيا ، او يفت من عزيمتهم تنكيل او عذاب مهما اشتد او قسا ، وانما يستعذب العالم المخلص طعم العذاب في سبيل مرضاة الله ، والحفاظ على سنة نبي الله في الأرض •

ز — تصميم دائم على مقاطعة بني امية حتى في خلافة الوليد ابن عبد الملك :

---

(١) — طبقات ابن سعد : ١٢٧/٥ ، تاريخ الذهبي : ٦\٤ •

كان الوليد بن عبد الملك جبارا ظالما[1] ، ولم يكن مثل أبيه عبد الملك الذي كان معتبرا من فقهاء المدينة ، واذا كان التكبر على المتكبر صدقة ــ كما يقول الناس ــ فان سعيد بن المسيِّب صاحب العزة والاباء والتقدم على الجبارين ، لن يأبه بالوليد ، كما لم يأبه بأبيه عبد الملك .

فلما استخلف الوليد بن عبد الملك ، قدم المدينة ، فدخل المسجد ، فرأى شيخا قد اجتمع الناس عليه ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : سعيد بن المسيِّب . فلما جلس أرسل اليه ، فأتاه الرسول فقال : أجب امير المؤمنين . فقال : لعلك أخطأت باسمي ، او لعله أرسلك الى غيري ؟ قال : فأتاه الرسول فأخبره ، فغضب وهمَّ به. وفي الناس يومئذ بقية ، فأقبل عليه جلساؤه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، فقيه أهل المدينة ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك ان يأتيه . فما زالوا به حتى انفضَّ عنه[2] .

وقال الواقدي وغيره : وحج بالناس في هذه السنة ــ أي سنة ٩١ هـ ــ أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة ، أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة ، فتلقوه ، فرحب بهم ، وأحسن اليهم ، ودخل المدينة النبوية ، فأخلي له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيِّب ، لم يتجاسر أحد أن يخرجه ، وانما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم ،

---

(١) ــ تاريخ الخلفاء : ص ٢٢٣ ، ط الرابعة .
(٢) ــ طبقات ابن سعد : ١٣٠/٥ .

فقالوا له : تنحَّ عن المسجد أيها الشيخ ، فان أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد ، فجعل يدور فيه ، يصلي ههنا وههنا ، ويدعو الله عز وجل ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت اعدل به عن موضع سعيد خشية ان يراه ، فحانت منه التفاتة ، فقال : من هذا ، هو سعيد بن المسيِّب ؟ فقلت : نعم يا امير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم ، لقام اليك ، وسلم عليك . فقال : قد علمت بغضه لنا ، فقلت : يا امير المؤمنين ، انه وانه ، وشرعت أثني عليه . وشرع الوليد يثني عليه بالعلم والدين ، فقلت : يا امير المؤمنين ، انه ضعيف البصر — وانما قلت ذلك لا عتذر له — فقال : نحن أحق بالسعي اليه : فجاء فوقف عليه ، فسلم عليه ، فلم يقم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده . ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا فقيه الناس . فقال : اجل يا امير المؤمنين[1] .

(١) — تهذيب التهذيب : ٨٧/٤ ، تاريخ الذهبي : ٦/٤ .



الفصل الخامس

إمامته في تعبير الرؤيا ومواعظه

كان سعيد رحمه الله اماما في تعبير الرؤيا[1] ، كما كان اماما في العبادة والورع والتدين والزهد ، وفي التفسير والحديث والفقه ، بل وفي الأخلاق والفضائل ، والتاريخ والانساب . وتعبير الرؤيا يتطلب فراسة وفطنة ، وعلما وفهما ، وفكرا وبعد نظر ، كما يتطلب صفاء نفسيا وذهنيا ، وعلاقة طيبة مع الله . فأدّاه كل ذلك الى تفسير الاحلام تفسيرا دقيقا مطابقا للواقع ، فصدقه الناس ، وعجبوا به ، لما جربوا عنه من تأويل وصدق حدس ومعرفة بظلال الأحلام في حياة كل انسان .

وبالاضافة الى ذلك فهو فن يحتاج للتعلم والأخذ عن الخبراء . قال محمد بن عمر : وكان سعيد بن المسيّب من اعبر

(١) ـ البداية والنهاية : ٨٢/٩ .

الناس للرؤيا ، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر ، وأخذته أسماء عن أبيها أبي بكر[1] .

وعن عبيد بن نسطاس قال : سمعت سعيد بن المسيِّب يقول للرجل اذا رأى الرؤيا وقصها عليه : خيرا رأيت[2] .

وكان يقول : آخر الرؤيا أربعون سنة ، يعني في تأويلها[3] .

ومن وقائع تعبيره الرؤيا ما يأتي :

١ ــ عن عمر بن حبيب بن قليع قال : كنت جالسا عند سعيد بن المسيِّب يوما ، وقد ضاقت علي الأشياء ، ورهقني دين ، فجلست الى ابن المسيِّب ، ما أدري أين أذهب ، فجاءه رجل ، فقال : يا أبا محمد ، اني رأيت رؤيا ، قال : ما هي ؟ قال : رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان ، وأضجعته الى الارض ، ثم بطحته فأوتدت في ظهره أربعة اوتاد ، قال : ما أنت رأيتها ، قال : بلى ، أنا رأيتها ، قال : لا أخبرك ، او تخبرني ، قال : ابن الزبير رآها ، وهو بعثني اليك . قال : لئن صدقت رؤياه ، قتله عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك اربعة كلهم يكون خليفة[4] .

---

(١) ــ طبقات ابن سعد : ١٢٤/٥ ، المعارف : ص ٤٣٧ ، سير أعلام النبلاء : ٢١١/٢ .

(٢) ــ طبقات ابن سعد : ١٢٥/٥ .

(٣) ــ طبقات ابن سعد ، المكان السابق .

(٤) ــ وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، تولوا الخلافة بعد ان امتنع عبد الملك عن بيعتها لاخيه عبد العزيز بن مروان ، وقد توفي بمصر سنة ٨٤ هـ . وعرف عبد الملك بأنه والد الخلفاء الامويين .

قال : فدخلت الى عبد الملك بن مروان بالشام ، فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيِّب ، فسره ، وسألني عن سعيد وعن حاله ، فأخبرته ، وأمر لي بقضاء ديني ، وأصبت منه خيرا[1] .

٢ ـ عن شريك بن أبي نمر قال : قلت لابن المسيِّب : رأيت في النوم كأن أسناني سقطت في يدي ، ثم دفنتها ، فقال ابن المسيِّب : ان صدقت رؤياك دفنت أسنانك من أهل أهل بيتك[2] .

٣ ـ عن مسلم الخياط قال : قال رجل لابن المسيِّب ، اني أراني أبول في يدي ، فقال : اتق الله ، فان تحتك ذات محرم ، فنظر ، فاذا امرأة بينها وبينه رضاع[3] .

٤ ـ وجاءه آخر ، فقال : يا أبا محمد ، اني أرى كأني أبول في أصل زيتونة ، قال : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم . فنظر فاذا امرأة لا يحل له نكاحها[4] .

٥ ـ عن مسلم الخياط عن ابن المسيِّب قال : قال له رجل اني رأيت حمامة وقعت على المنارة ـ منارة المسجد . فقال : يتزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[5] .

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٣/٥ ، وفيات الاعيان : ٣٧٨/٢ ، المعارف : ص ٤٣٧ .
(٢) ـ طبقات ابن سعد ، المكان السابق ، المعارف ، المكان السابق .
(٣) ـ المرجعان السابقان .
(٤) ـ طبقات ابن سعد : ١٢٤/٥ .
(٥) ـ المرجع السابق .

٦ ــ قال رجل من فَهْم لابن المسيِّب : أنه يرى في النوم كأنه يخوض النار ، فقال : ان صدقت رؤياك ، لا تموت حتى تركب البحر ، وتموت قتلا . قال : فركب البحر ، فأشفى على الهلكة ، وقتل يوم قديد بالسيف[١] .

٧ ــ قال الحصين بن عبيد الله من بني نوفل : طلبت الولد، فلم يولد لي ، فقلت لابن المسيِّب : اني أرى أنه طرح في حجري بيض . فقال ابن المسيِّب : الدجاج عجمي ، فاطلب سببا الى العجم ، قال : فتسريت فولد لي ، وكان لا يولد لي[٢] .

٨ ــ كان ابن المسيِّب يقول : التمر في النوم رزق على كل حال ، والرُّطب في زمانه رزق[٣] .

ويقول : الكَبْل[٤] في النوم ثبات في الدين . قال مسلم الخياط : وقال له رجل : يا أبا محمد ، اني رأيت كأني جالس في الظل ، فقمت الى الشمس . فقال ابن المسيِّب . والله لئن صدقت رؤياك لتخرجن من الاسلام . قال : يا أبا محمد ، اني أراني أخرجت حتى أدخلت في الشمس ، فخسلت[٥] . قال : تكره على الكفر . فخرج في زمان عبد الملك بن مروان فأسر،

(١) ــ المرجع السابق .
(٢) ــ المرجع السابق : ١٢٥/٥ .
(٣) ــ المرجع السابق .
(٤) ــ الكبل : القيد او اعظم ما يكون من القيود .
(٥) ــ خسله : نفاه .

فأكره على الكفر ، فرجع ، ثم قدم المدينة ، وكان يخبر بهذا[1] .

٩ ــ اخرج ابن سعد عن ابن عمران بن عبد الله بن طلحة قال : رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوبا : « قل : هو الله أحد » فاستبشر به أهل المدينة ، فقصوها على سعيد بن المسيّب ، فقال : ان صدقت رؤياه ، فقلّ ما بقي من أجله ، فما بقي الا أيام حتى مات[2] .

مواعظه وأقواله

كان سعيد ــ أسعده الله ــ حسن الموعظة في أقواله ، ينطق بالحكمة ، ويجيد النصح والتذكير والتخويف . وقد ذكرنا طائفة من مواعظه في مناسباتها المتعددة ، ونسردها هنا جملة واحدة :

١ ــ عن أبي عيسى الخراساني عن سعيد بن المسيّب قال : « لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة ، الا بانكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط اعمالكم الصالحة[3] » .

٢ ــ وقال : « من استغنى بالله افتقر الناس اليه[4] » .

---

(١) ــ طبقات ابن سعد : ١٢٥/٥ .

(٢) ــ تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٢٩ .

(٣) ــ البداية والنهاية : ١٠٠/٩ ، حلية الاولياء : ١٧٠/٢ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .

(٤) ــ البداية والنهاية وطبقات الشعراني ، المكان السابق ، حلية الاولياء : ١٧٣/٢ ، اختصرت الروايات واكتفيت بالمرجع والقول المأثور عنه .

٣ ــ وقال : « الدنيا نذلة ، وهي الى كل نذل أميل ، وانذل منها من أخذها من غير وجهها ، ووضعها في غير سبيلها[١] » .

٤ ــ وقال : « انه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل الا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي ان تذكر عيوبه » وقال : « من كان فضله اكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله[٢] » .

٥ ــ وقال : « يد الله فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها رفعه الله ، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم ، فاذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته[٣] » .

٦ ــ « لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يعطي منه حقه ، ويكف به وجهه عن الناس[٤] » .

٧ ــ « لا خير فيمن لا يحب هذا المال ، يصل به رحمه ، ويؤدي به أمانته ، ويسعني به عن خلق ربه[٥] » .

٨ ــ « مايئس الشيطان من شيء الا أتاه من قبل النساء[٦] » .

---

(١) ــ البداية والنهاية ، المكان السابق .
(٢) ــ البداية والنهاية ، المكان السابق ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .
(٣) ــ حلية الاولياء : ١٦٦/٢ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .
(٤) ــ حلية الاولياء : ١٧٣/٢ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .
(٥) ــ المرجع والمكان السابق .
(٦) ــ البداية والنهاية ، المكان السابق .

٩ ــ « لا تقولن : مُصَيحف ، ولا مُسَيجد : ولكن عظموا ما عظم الله ، كل ما عظم الله فهو عظيم حسن[١] » .

١٠ ــ عن علي بن زيد ، قال : : رآني سعيد بن المسيِّب ــ وعلي جبة خز ــ فقال : انك لجيد الجبة . قلت : وما تغني عني ، وقد أفسدها علي سالم ، فقال سعيد : أصلح قلبك ، والبس ما شئت[٢] » .

١١ ــ قال بُرْد ــ مولى ابن المسيِّب ــ : ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء ! قال سعيد : وما يصنعون ؟ قال : يصلي احدهم الظهر ، ثم لا يزال صافا رجليه يصلي ، حتى العصر . فقال سعيد : ويحك يابرد ، أما والله ما هي العبادة ، تدري ماالعبادة ؟ انما العبادة : التفكر في أمر الله ، والكف عن محارم الله[٣] » .

١٢ ــ قال سعيد بن عبد العزيز : لما أحتُضر عبد الملك أمر بفتح الابواب من قصره ، فلما فتحت ، سمع قصارا بالوادي ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصار ، فقال : ياليتني كنت قصّارا ، أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ سعيد بن المسيِّب قوله : قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم ، يفرون الينا ولا نفر

---

(١) ــ طبقات ابن سعد : ١٣٧/٥ ، طبقات الشعراني : ٣٠/١ .

(٢) ــ حلية الاولياء : ١٧٣/٢ .

(٣) ــ طبقات ابن سعد : ١٣٥/٥ .

اليهم[1] .

١٣ ـ قال يحيى بن سعيد : كان سعيد بن المسيّب يكثر أن يقول : اللهم سلّمْ سلّم[2] .

(١) ـ البداية والنهاية : ٦٨/٩ .
(٢) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٦/٥ .

خاتمة

كنت شديد الاهتمام ، عظيم السعادة ، عندما بدأت أبحث في عباب المصادر عن سعيد بن المسيِّب ، وذلك لأني وجدت في شخصه خصائص كبرى ، وسمات انسانية عظمى للقدوة والسيرة الحسنة العالية .

وها اني أقدم للقراء الكرام علما من اعلام الفكر الاسلامي ، وأكبر مؤسس لصرح الفقه الاسلامي ، ومثلا رائعا من أمثلة البطولات والاخلاص ، في الحقل العلمي ، وفي مجال قهر النفس ، وتحدي المعاصي ، ومقاومة السلطة الظالمة لتخطيها سنن الاسلام ، ومعالم هدي شرعة الله .

وأستطيع أن أنقل لكل مسلم فيما ياتي أثر هذا التابعي الكبير ، سيد التابعين ، لان الرجال تقاس بفعالها ، ويسطر تاريخها بمقدار عطائها لمجتمعها :

١ ـ يعود لسعيد بن المسيِّب الفضل الكبير في حفظ ونقل وتثبيت الثروة العلمية الاسلامية من معاني قرآنية واحاديث نبوية وآثار اجتهادية .

٢ ـ كذلك يعتبر رائدا من الرواد الاوائل الذين شقوا الطريق أمام حركة اجتهادية واسعة في الاسلام ، سواء في نطاق الحديث النبوي ، أو الرأي والقياس الصحيح ، او التجديد والافتاء بما اقتضاه تطور العصر والزمان . فهو بحق صاحب الهمة العالية في وضع أساس الصرح العالي للفقه الاسلامي.

٣ ـ أوجد للفقهاء والعلماء حرمة ومكانة عالية في انظار الحكام باعلانه ضرورة التمسك بأحكام الاسلام ، ورفضه عطاياهم ، ومؤاثرته طلاب العلم الفقراء على ذوي الطول والغنى والسلطان سواء برفضه تزويج ابن الخليفة من ابنته ، او حبه العيش مع زمرة المساكين ، كما أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو تفضيله القيم الخلقية على المناصب العالية ، وزهده في الدنيا ، واكتفائه بالخبز والزيت طعاما لافطاره من الصيام .

٤ ـ انه بورعه وعبادته القوية (حجه أربعين حجة ، وصيامه الدهر ، وسهره الليل في العبادة ، وحرصه على صلاة الجماعة خلف الامام اربعين سنة) وخوفه من الله ، وتواضعه، وعلمه ، صار من أولياء الله الكبار حقا ، ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فكان بذلك في أمان الله : ((من عادى لي وليا آذنته بالحرب)) .

٥ ـ كان عزيز النفس أبيا كريما صلبا في الحق ، ذا هيبة وجلال في أعين الخلفاء والامراء ، متقدما على الجبارين ، يأتونه

للسلام عليه ، ويرفض المجيء الى واحد منهم ، رغم طلبهم وحرصهم على لقيائه .

٦ ـ كان مثلا أعلى للاعتماد على النفس وكسب العيش من مورد حر كريم ، ورفضه قبض مرتبة في بيت المال ، ومتاجرته بالزيت في سوق المدينة .

٧ ـ كان وما يزال اماما في التفسير والحديث والفقه وتعبير الرؤيا ، وكان أيضا مؤرخا كبيرا ، أعلم الناس بأخبار الجاهلية والاسلام وأعرفهم بأنساب قريش .

٨ ـ ان أئمة المذاهب المتداولة الآن لا ينحصر فضل الاجتهاد والسبق العلمي فيهم ، وانما سبقوا بمجتهدة الصحابة ، وأعلام التابعين ، وعلى رأسهم سعيد بن المسيِّب ، مما يوجب علينا توقير واجلال كل من ساهم في تقدم البناء العلمي والحضاري في الاسلام ولو بقطرة عرق ، او حفظ حديث ، او ابداء رأي مناسب .

٩ ـ كان في محنته واحداث حياته عظيما لا يصغر ، وكبيرا لا تلين له قناة ، فمن مآسيه : الحكم بقتله والامر بضرب عنقه من قائد جيش يزيد (مسلم بن عقبة) بعد وقعة الحرة في المدينة . وضربه مائة سوط في يوم بارد وصب جرة ماء عليه من قبل أمير المدينة في عهد عبد الملك بن مروان لرفضه تزويج ابنته لابنه الوليد . ورفضه مقابلة الخليفة عبد الملك

في المدينة رغم قدومه اليه ، ثم رفضه الخروج من المسجد النبوي أثناء زيارة الوليد بن عبد الملك له سنة ٩١ هـ ، ثم اباؤه القيام له والسلام عليه ، حتى جاءه الوليد بنفسه فسلم عليه . وجلده مائة سوط ، والطواف به في أسـواق المدينة وعليه تبان شعر ، لامتناعه من البيعة بولاية العهـد لاثنين : الوليد وسليمان بعد أبيهما عبد الملك بن مروان . ثم سجنه وتهديده بالقتل وضرب العنق بالسيف وشهر السيوف عليه ، دون ان يتزعزع ، وانما ظل رابط الجاش ، ثابت الجنان ، عنيد القيادة ، عسير التراجع عن رأيه .

رحم الله رحمة واسعة هذا الجبل الاشم ، وسلام عـلى روحه الطاهرة في الخالدين . فلقد كاد سعيد ابو محمد ابن المسيّب يسيب عقلي ، ويطير بلبي ، ويصدع رأسي ، بسبب كثرة فضائله ومآثره ، وصلابة مواقفه من الحكام ، وترفعه على الخلفاء والامراء ، فهل للناس الآن مثله ، وهل يصدّقون ان في تاريخ الاسلام المشرق مئات الناس أمثاله ؟ ! !

حقا انه أحد العظماء ـ عظماء الاسلام والعلم والدين والخلق .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا ياجرير المجامع

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الدكتور وهبة الزحيلي

اهـم المصـــادر

آ ـ مراجع عامـة :

١ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٧٤ هـ) ، طبع عيسى البابي الحلبي بمصر ٠

٢ ـ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، طبع دار المعارف بمصر ٠

٣ ـ كتب السنة الستة (البخاري ، ومسـلم ، وأبـي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه) ٠

٤ ـ جامع الاصول من أحاديث الرسول لابن الاثـير الجـزري (٦٣٠ هـ) ، طبع مطبعة السنة المحمدية ٠

٥ ـ مجمع الزوائد لابن ابي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) ، مكتبـة القدسي ٠

٦ ـ سبل السلام للصنعاني (١١٤٢ هـ) ، طبع البابي الحلبي بمصـر ٠

٧ ـ نيل الاوطار للشوكاني (١٢٥٥ هـ) ، المطبعة العثمانيـة المصريـة ٠

٨ ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك (١٧٩ هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٩ ـ علوم الحديث او مقدمة ابن الصلاح (٦٤٣ هـ) ، طبع حلب، نشر المدينة .

١٠ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير (٧٧٤ هـ) ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة صبيح بمصر .

١١ ـ كتاب مصطلح الحديث للشيخ ابراهيم دسوقي الشهاوي ، طبع مصر .

١٢ ـ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٧٢٨ هـ) ـ المطبعة السلفية بمصر .

١٣ ـ صيد الخاطر للامام ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) ـ طبع دار الفكر بدمشق .

١٤ ـ نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس لابن الجوزي ـ ادارة الطباعة المنيرية .

١٥ ـ احياء علوم الدين للغزالي (٥٠٥ هـ) ـ المطبعة العثمانية المصرية .

١٦ ـ اعلام الموقعين لابن القيم (٧٥١ هـ) ـ مطبعة السعادة بمصر .

١٧ ـ الاعتصام لابي اسحاق الشاطبي (٧٩٠ هـ) ـ مطبعة السعادة بمصـــر .

١٨ ـ اختلاف الفقهاء لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ـ نشر الدكتور فريدريك كرن الالماني .

١٩ ـ ترتيب مسند الامام الشافعي (٢٠٤ هـ) ـ طبع دار الكتب المصريـــة .

٢٠ ـ الرسالة للامام الشافعي ـ طبع مصطفى البابي الحلبـــي ، الطبعـــة الاولى .

٢١ ـ مسند الامام احمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ـ طبع ١٣٧٤ هـ .

ب ـ مراجع خاصة :

١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠ هـ) ـ تصوير بيروت .

٢ ـ تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبـــري (٣١٠ هـ) ـ طبع دار المعارف بمصر .

٣ ـ الفهرست لابن النديم (٣٨٥ هـ) مطبعة الاستقامة بمصر .

٤ ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء للحافظ ابي نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني (٤٣٠ هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٥ ـ طبقات الفقهاء لابي اسحاق الشيرازي (٤٧٦ هـ) ـ طبـــع بغداد ، ١٣٥٦ هـ .

٦ ـ صفة الصفوة للامام ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧ هـ) ـ الطبعة الاولى ، بالهند .

٧ ـ مشاهير علماء الامصار لمحمد بن حبان البستي (٣٥٤ هـ) ـ طبع القاهرة .

٨ ـ وفيات الاعيان لابي العباس احمد بن خلكان (٦٨١ هـ) ـ بيروت .

٩ ـ سير اعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) دار المعارف بمصر .

١٠ ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام لمؤرخ الاسلام الحافظ النقاد الذهبي (٧٤٨ هـ) ـ مكتبة القدسي بمصر .

١١ ـ تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ) طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند .

١٢ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان لعبد الله بن أسعد بن علي ابن سليمان اليمني المكي (٧٦٨ هـ) مؤسسة الاعلمي في بيروت .

١٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤ هـ) ، الطبعة الاولى١٩٦٦ .

١٤ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ـ الطبعة الاولى بالهند .

١٥ ـ تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ـ نشر المدينة المنورة .

١٦ ـ تاريخ الخلفاء ـ أمراء المؤمنين القائمين بامر الامة من عهد أبي بكر الصديق الى عهد المؤلف ، لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ـ الطباعة المنيرية .

١٧ ـ المعارف لابن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم ٢٧٦ هـ) ـ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .

١٨ ـ خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال لاحمد بن عبد الله الخزرجي (بعد ٩٢٣ هـ) ـ الطبعة الاولى ـ الخيرية .

١٩ ـ المختصر في اخبار البشر ـ تاريخ ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي (٧٤٩ هـ) دار المعرفة ـ بيروت .

٢٠ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة .

٢١ ـ كتاب حذف من نسب قريش عن مؤَرِّج بن عمر السدوسي (١٩٥ هـ) ـ مكتبة دار العروبة بمصر .

٢٢ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ) ـ مكتبة القدسي بمصر .

٢٣ ـ الطبقات الكبرى لابي المواهب عبد الوهاب الشعراني (٩٧٣هـ) ـ الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٢٤ ـ ضبط الاعلام لاحمد تيمور باشا (١٣٤٨ هـ) ـ الطبعة الاولى ـ القاهـرة .

٢٥ ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن ـ الطبعة السادسة ٠

٢٦ ـ تاريخ التشريع الاسلامي للمرحوم محمد الخضري ـ مطبعة السعادة بمصر ٠

٢٧ ـ تاريخ الفقه الاسلامي للشيخ الاستاذ محمد علي السايس وجماعة ـ مطبعة وادي الملوك بمصر ٠

٢٨ ـ تاريخ الفقه الاسلامي للدكتور محمد يوسف موسى ، دار الكتاب العربي بمصر ٠

٢٩ ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي للدكتور علي حسن عبد القادر ، الطبعة الثانية ـ مكتبة القاهرة الحديثة ٠

٣٠ ـ محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي للاستاذ الشيخ فرج السنهوري ـ مذكرات على الآلة الكاتبة للدراسات العليا بكلية حقوق القاهرة ٠

فهرس

الفصــل الاول

الفصــل الثاني

الفصل الثالث

الفصـــل الرابع

الفصـــل الخامس

أعلام المسلمين

سلسلة تراجم إسلامية تجمع بين العلم والفكر والتوجيه ، وتتناول اعلام المسلمين في شتى الميادين .

صدر منهـا :

١ ـ عبد الله بن المبارك (الإمام القدوة)
تاليف محمد عثمان جمال

٢ ـ الإمام الشافعي (فقيه السنة الاكبر)
تاليف عبد الغني الدقر

٣ ـ مصعب بن عمير (الداعية المجاهد)
تاليف محمد حسن بريغش

٤ ـ عبد الله بن رواحة (امير شهيد وشاعر على سرير من ذهب)
تاليف د. جميل سلطان

٥ ـ ابو حنيفة النعمان (إمام الأئمة الفقهاء)
تاليف وهبي غاوجي الألباني

٦ ـ عبد الله بن عمر (الصحابي المؤتسي برسول الله)
تاليف محيي الدين مستو

٧ ـ انس بن مالك (الخادم الامين والمحب العظيم)
تاليف عبد الحميد طهماز

٨ ـ سعيد بن المسيب (سيد التابعين)
تاليف د. وهبة الزحيلي

٩ ـ السلطان محمد الفاتح (فاتح القسطنطينية وقاهر الروم)
تاليف د. عبد السلام فهمي

١٠ ـ الإمام النووي (شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين)
تاليف عبد الغني الدقر

١١ ـ الشيخ محمد الحامد (العلامة المجاهد)
تاليف عبد الحميد طهماز

١٢ ـ السيدة عائشة (ام المؤمنين وعالمة نساء الإسلام)
تاليف عبد الحميد طهماز

١٣ ـ الإمام البخاري (سيد الحفاظ والمحدثين)
تاليف د. تقي الدين الندوي المظاهري

١٤ ـ عبادة بن الصامت (صحابي كبير وفاتح مجاهد)
تاليف د. وهبة الزحيلي

١٥ ـ عبد الله بن عباس (حبر الامة وترجمان القرآن)
تاليف د. مصطفى الخن

١٦ ـ جابر بن عبد الله (صحابي إمام وحافظ فقيه)
تاليف وهبي غاوجي الألباني

١٧ ـ احمد بن حنبل (إمام اهل السنة والجماعة)
تاليف عبد الغني الدقر

١٨ ـ كعب بن مالك (شاعر العقيدة الإسلامية).
تأليف د. سامي مكي العاني.
١٩ ـ أبو داود (الإمام الحافظ الفقيه).
تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري.
٢٠ ـ أسامة بن زيد (حِبُّ رسول الله وابن حِبِّه).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
٢١ ـ معاوية بن أبي سفيان (صحابي كبير وملك مجاهد).
تأليف منير الغضبان.
٢٢ ـ عدي بن حاتم الطائي (الجواد ابن الجواد).
تأليف محيي الدين مستو.
٢٣ ـ مالك بن أنس (إمام دار الهجرة).
تأليف عبد الغني الدقر.
٢٤ ـ عبد الله بن مسعود، (عميد حملة القرآن، وكبير فقهاء الإسلام).
تأليف عبد الستار الشيخ.
٢٥ ـ معاذ بن جبل، (إمام العلماء، ومعلم الناس الخير).
تأليف عبد الحميد طهماز.
٢٦ ـ الإمام الجويني (إمام الحرمين).
تأليف د. محمد الزحيلي